

الأنترنت والبناءات الذهنية الفردية لدى النوعين على مستوى الأسرة البجاوية.

محاولة في إطار دراسات النوع gender Studies

نصيرة هوارى*

« Des récits marchent devant les pratiques sociales,
pour leur ouvrir un champ ».

'Michèle de Certau'

cité dans Patrice Flichy, « l'imaginaire d'internet ». p05

ملخص

يرى بعض الباحثين أن الممارسات التي تسمح للأشخاص بفهم دور التكنولوجيا المنزلية على مستوى حياتهم ما هي إلا ترجمة للديناميكية العائلية وانعكاس للعلاقات المتعارضة ما بين النوعين. تسجل هذه الدراسة ضمن ما يسمى بـ "دراسات النوع" وهذا باعتبارها تستهدف بالأساس فحص بناءات النوعين حول الأنترنت في فضاء تسع أسر بجاوية ما بين ماي 2009 إلى غاية نوفمبر 2010. في هذا الاتجاه، تم الحسم لصالح الأنثروبولوجيا الاتصالية وما تقتضيه من مقابلات معمقة وملاحظة بالمشاركة كإطار منهجي للدراسة من خلال تبني أحد مقاربات هذا الاتجاه، ويتعلق الأمر هنا بمقاربة "البناءات الذهنية الفردية". في الأخير، يمكن للتحليل الدقيق لأشكال استيعاب الأنترنت في سياق المجتمع التقليدي القبائلي أن يخبرنا بثناء عن مدى تعقد العلاقات ما بين النوعين واتجاهاتهم نحو استخدامات الأنترنت.

*، أستاذة مساعدة في علوم الإعلام و الاتصال بالقطب الجامعي تامة. - جامعة مولود معمري- تيزي وزو

الكلمات الدالة: البناءات، الاستخدام، الأنترنت، النوع.

Abstract:

According to some researchers, the practices which allow individuals to understand the role of domestic technologies in their lives reflect family dynamics and the conflicting relationship between the two sexes. This study is part of research on "gender studies", since it aims to examine the constructions with regard to the uses of the Internet within nine Béjawi families From May 2009 to November 2010. We opted for the anthropology of communication and its materials: in-depth interviews and participant observation. this leads us to adopt one of the approaches of this fields. This is the approach of "individual mental constructions". Finally, an in-depth analysis of the forms of adoption of the Internet in the context of traditional Kabyle society can inform us about the complexity of the relationships between gender and attitudes towards Internet uses.

Keywords: constructions, use, Internet, genre.

مقدمة:

تحول الاتصال في ظرف سنوات قليلة إلى أحد الوظائف الأساسية للحياة الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، و أصبح في المقدمة خاصة بعد القائمة الطويلة للأماكن التي اقتحمها شيئا فشيئا وبدرجات متفاوتة، وجعلت من غير الممكن الاستغناء عنه. وعليه شهدت السنوات الأخيرة الاهتمام العلمي المفاجئ بالاتصال في الحياة اليومية للأفراد، كما أشار إلى ذلك "أبراهام مولز".

أصبح اليوم من غير الممكن فصل وسائل الاتصال عن النشاطات اليومية، بحيث ساهم ارتفاع مستوى المعيشة وتزايد وقت الفراغ في تجهيز المنازل بمصالح اتصالية جديدة، و أصبحت التكنولوجيات المعلوماتية تقوي من جهتها فكرة تعزيز الساحة المنزلية.

يعتبر الحوار بين الإنسان أو الآلة أحد الأوجه البارزة لنهاية القرن، فالمنزل أصبح مملوءاً بأشياء اتصالية، بحيث سمحت انخفاض الأسعار، وتصغير حجم الوسائل وتسهيل طرق الاستعمال بدمقرطة الأجهزة، فالدور الذي أخذته الوسائل التقنية في الحياة اليومية يشير إلى سلسلة من التساؤلات حول تطور مسار الاتصال وحول انعكاسه الاجتماعي، بحيث هناك رابط ما بين هندسة التقنية من جهة، ومن جهة أخرى بناء الممارسات الاجتماعية.

تعد المكانة المركزية التي تحتلها وسائل الاتصال الإعلامي في الحياة اليومية أحد أهم دلائل التغيير الاجتماعي الذي يحدث في المجتمعات الغربية المتطورة، فاللجوء إلى وسائل الاتصال أصبح شيئاً مفروضاً ليس فقط أثناء التسلية، ولكن أيضاً في العمل وفي الحياة المنزلية، بحيث وصل توازياً مع اتساع ممارسات الاتصال إلى البيوت سلم جديد من التجهيزات التي يتم الإشارة إليها في غالب الأحيان باسم التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال **NTIC**، وتمثل هذه الأجهزة تنوع كبير في التركيبة التقنية وخصائصها، و أصبحت هذه الأجهزة المنزلية الجديدة تضم **الانترنت**، الإعلام الآلي، المينيوتال، ألعاب الفيديو، المانيطوسكوب، هاتف الذاكرة،... الخ. وقد تم تحليل ممارسات الاتصال غالباً كمنتوج تحولات الأنظمة ووسائل الاتصال التي تحدد الطريقة التي يقوم بها الأفراد باستخدامها، ويجب تجنب هنا فخ الحتمية التقنية، و الحتمية الاجتماعية، و النظر إلى التغيير الاجتماعي على أنه العنصر الأهم لبناء الممارسات الاتصالية.

فحص كيف يبني الأفراد علاقاتهم مع وسيلة الانترنت؟

يظهر اللجوء إلى وسائل الاتصال كظاهرة تهيكّل أكثر فأكثر الفعل الاجتماعي، فهذه المكانة المتزايدة التي أخذها الاتصال في طرق عيش الدول الصناعية المتطورة، لا يمكن تحليله كنتاج بسيط عن بث وتبني التكنولوجيات الجديدة، فساحة الآلات لا يمكن فهمها كحقل مغلق بل إنها تندرج ضمن التحولات الاقتصادية والاجتماعية وحول إعادة تجديد القيم التي تؤسس الممارسات الاجتماعية.

ساعد مختصو العلوم الاجتماعية والإنسانية في التحسس بأهمية ظواهر الاتصال، كما اهتمت بعض العلوم بالفرد واعتبرته كنظام متصل بالعالم الذي يتطور وفقاً لبيئته، وبوساطة وتدخل من الرسائل التي يتلقاها من هذا العالم. ولقد ادعى " **Putsnam** " أنه

لكي نتمكن من تنظيم هذا العالم المحيط بنا وتوجيه مسلكنا له، لابد أولاً أن نفهم "المنزل" أي "الأسرة"، وهذه الأخيرة يمكن أن تكون مميزة عن غيرها من خلال الخصوصيات الديناميكية الناتجة عن تفاعل مختلف الأعضاء الذين يشكلونها.

وقد تغير الفضاء المنزلي بدوره بتغير الأشياء التي تملؤه، وكذا بتغير السلوك الاستهلاكي فيما يخص استخدام وسائل الاتصال، بحيث أصبحت العائلات تملك العديد من الأجهزة الاتصالية، فالاستهلاك بهذا المعنى أصبح يمثل الفضاء الحقيقي الذي يتم فيه فهم الثقافة ووضع قالب لها. وإذا كان علماء النفس غالباً ما يركزون على التفاعلات التي تحدث فيما بين الأفراد، فإنه وفي الآونة الأخيرة أصبح الاتجاه مركزاً أيضاً نحو التنبيه إلى أنه لا يمكن فهم السياق الاجتماعي إلا من خلال إدراجه أيضاً ضمن سياق مادي الذي بدوره يولد تفاعلات لها معاني. كما أن البراديغم الجديد للاتصال والتفاعل أصبح لا يحصر دراسة الاتصال والتفاعل ما بين الأفراد فقط، بل قام بتوسيع مجاله لكي يدرس أيضاً الاتصال والتفاعل الذي يحدث ما بين الإنسان والآلة.

إن الأفراد لم يعودوا كما في السابق محيطين فقط بكائنات إنسانية أخرى، ولكنهم أصبحوا أكثر فأكثر محيطين أيضاً بالأشياء. وعليه أصبح الأفراد يتجهون نحو إضفاء معنى اجتماعي للأشياء المادية وفق مسار معين قبل دمج هذه الأشياء في حياتهم اليومية لتصبح جزء منهم.

إن محاولة التفكير في فعل الأشياء التقنية في الحياة اليومية يعد اليوم أمراً ملحاً، فهذا التوجه نحو الاستخدام للآلات يقودنا هنا نحو العودة إلى الأشياء، وملاحظة كيفية استخدامها، بمعنى ملاحظة ماذا يفعل الأفراد فعلاً بهذه الأشياء أو التجهيزات؟

ترفق التجربة الاتصالية دائماً بتمثل حول التقنية، وتعد هذه التجربة خاصة بكل فرد وهي بنائية لممارسته، بحيث تظهر التمثلات أثناء التقابل مع التقنية وفي الاستخدام الفعلي لوسائل الاتصال، ووضح (Pierre Chambat, 94) في مقال له حول دراسات الاستخدام، أن "سوسيولوجيا الاستخدام" لا تعد تخصص يقع ضمن علم الاجتماع بل إنها انشغال تعنى به ثلاث تخصصات وهي: سوسيولوجية التقنية، سوسيولوجية الاتصال، وسوسيولوجيا طرق العيش.

وتعد في هذا الإطار الخطابات التي يتبناها المستخدمون جزء مهم في الممارسات الاتصالية، بحيث تعلن عن قيم ورموز تكشف عن المعنى الداخلي للممارسة. كما أن تعابير الأفراد حول طرق استخدامهم الفعلي لوسائل الاتصال يترجم علاقتهم مع الشيء، فهم يمرون عبر خطاب غالبا ما يتم تجميله بمصطلحات تقنية خاصة بالوسائل المستخدمة ، ولكنهم أيضا يستخدمون عبارات خاصة تكشف عن أشكال خاصة في التفاوض مع الوسيلة ، فهم بطريقة ما يشهدون عن أشكال القبول بالشيء. و يسمح خطاب المستخدمين أيضا بفهم كيف يستقبل هؤلاء إدماج وسائل الاتصال في طرق حياتهم، وعلى مستوى آخر قد تعبر الخطابات عن الآمال وخيبات الأمل حول هذه الأشياء.

في هذا الصدد اتجه بعض الباحثين إلى اعتبار أن الممارسات التي تسمح للأشخاص بفهم وشرح دور التكنولوجيا المنزلية على مستوى حياتهم ما هي إلا ترجمة للديناميكية العائلية ، وانعكاس للعلاقات المتعارضة ما بين النوعين، بحيث أن كل الزوايا التي تشكل المنزل كما وضع "بيار بورديو" أصبحت تقسم على أساس النوعين، كما أرجع الباحثون مصدر هذه الاختلافات و التعارضات بين النوعين إلى اللامساواة الموجودة في المجتمعات، والتي ما هي في الأصل إلا امتداد للمساواة التي نجدها على مستوى الأسرة. ولعل من بين الوسائل التي من خلالها تبرز العائلات ممارساتها المنزلية نجد "الأساطير العائلية" التي تحمل نظام من المعتقدات المتقاسم الذي يقيم الأدوار لدى أعضاء الأسرة و منه فإن أي خطاب قد يتبناه أي طرف حول وسيلة ما قد يكون خطاب معبأ حول "الأدوار النوعية" من يسمح لمن؟ باستخدام ماذا ؟ و عليه فان هذه الاختلافات أيضا يمكن أن تكون مصدر اختلاف حول الوسائل التي نملكها أو سوف نملكها وكيف سوف نستخدمها؟

إن هذا الفهم والشرح للتكنولوجيات المنزلية قائم على أساس "بناءات ذهنية فردية"، ويكشف لنا في هذا الصدد الخطاب الذي قد يحمله الأفراد حول تكنولوجياتهم عن هوياتهم ورغباتهم، بحيث أن الأدوار المختلفة داخل المنزل وكذا الخبرة اليومية المعاشة يمكن أن تشرح العديد من هذه البناءات.

انطلاقا من هذا التقديم نطرح التساؤل الجوهرى التالي: "ما هي البناءات الذهنية الفردية التي يحملها النوعين اتجاه الانترنت؟". وللإجابة على هذا السؤال قمنا بنقسيمة إلى تساؤلات فرعية منها:

- هل تبني الانترنت يقوم على أساس النوع؟
- هل سيطور الأنترنت العلاقات الاجتماعية بين النوعين أم بالعكس سيساهم في تعميق الهوية بينهما؟
- ما هو مصير الرابط الاجتماعي في ظل وسيلة الانترنت؟
- هل ستساهم بعض خصوصيات السياق الثقافي و الاجتماعي في تبني "بناءات ذهنية فردية" معينة لدى الأفراد؟

منهج الدراسة:

تنبه الباحثون إلى أن مناطق واسعة من مجتمعاتنا نحن لا تزال غير معروفة كما ينبغي، وهو الأمر الذي يستدعي حسبهم أبحاث كثيرة في الميدان، وعليه حسم اختيارنا لـ"أنثروبولوجيا الاتصالية"، "فوحده المكان له سلطة تأسيسية لمفاهيم جديدة[†]. لكن الولوج إلى مكان البحث في ظل غياب أي تأطير مفاهيمي يعتبر مغامرة كبيرة من قبل الباحث الذي يمكن له أن يتوه في هذا المجتمع المألوف له، ..فما دام انه المألوف فهو غالبا ما لا يثير انتباهنا.

تعتبر أنثروبولوجيا الاتصال أنثروبولوجيا من دون موضوع ، وليس لديها أي شيء تقدمه سوى الطريقة التي نقرأ ونحلل بها الحياة داخل المجتمع، يعد هذا المسعى التوجه السائد في الآونة الأخيرة في الاتجاهات الحديثة للأبحاث التي ترى أن التجديد لا يكون في الموضوع بل في المقاربة، لأنها وحدها هذه الأخيرة من شأنها الوصول إلى معطيات جديدة عن الموضوع.

يعتبر "وينكين" أنثروبولوجيا الاتصال التي يدافع عنها بمثابة إيثوغرافية الظواهر الاجتماعية التي تعود إلى الاتصال في تعريفه المتداول وكذا إيثوغرافية المحادثات ما بين الجيران حول وسائل الإعلام بحيث يمكن أن تكون إيثوغرافية العمل على خطوة

بوجمة رضوان: "أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في العلوم في علوم الإعلام

[†] و الاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007/2006. ص31.

من باب الشخص الباحث، إنها قضية استعداد فكري وتعود علمي. ويقول: "واستمر في اعتبار أن مشروع أنثروبولوجيا الاتصال في اتجاه أنثروبولوجيا الثقافة في الأفعال"[‡]. وعلى هذا الأساس تم الحسم في هذه الدراسة لصالح الأنثروبولوجيا الاتصالية كإطار منهجي للدراسة من خلال تبني احد مقاربات هذا الاتجاه، ويتعلق الأمر هنا بمقاربة "البناءات الذهنية الفردية" **L'approche des constructions mentales individuelles**، وهي المقاربة حسب اعتقادنا الأقرب للإجابة عن إشكالية الدراسة، كما أن هذه المقاربة سوف تساعدنا على الإجابة على تساؤلات الدراسة التي تم صياغتها بعد الولوج إلى مجتمع البحث والاحتكاك به، وكذا بعد المراجعة الكاملة للبحوث النظرية التي لها صلة بالموضوع، وبخاصة البحوث الاتصالية والاجتماعية.

تجدر الإشارة هنا أن التجديد في البحث لا يعني التجديد في الموضوع بقدر ما يعني التجديد في المقاربة المنهجية التي من شأنها الوصول إلى معطيات جديدة عن الموضوع كما أشرنا أعلاه، وعليه فإن انشغالنا بهذا التجديد في الأسلوب المنهجي من خلال هذه المقاربة يعود بالأساس إلى انشغالنا لمحاولة الوصول إلى معطيات مختلفة عن تلك المعطيات التي اعتمدتها أغلب المقاربات المنهجية أخرى التي يتم اعتمادها في معاهد علوم الإعلام والاتصال في الجزائر.

يعود اهتمامنا أيضا بالأنثروبولوجيا الاتصالية إلى كون هذا المقرب يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي والتكنولوجي وذلك على خلاف النماذج السابقة التي اهتمت بعناصر العملية الاتصالية دون الاهتمام بالسياق الذي تتواجد فيه هذه العناصر. تتميز الأنثروبولوجيا الاتصالية بطريقتها في جمع المعطيات بحيث يلجأ الباحث إلى الميدان ويمتزج مع السكان المحليين ويقوم بملاحظتهم بطريقة أقل أو أكثر مشاركة ثم يقوم بتسجيل نقاط ليكتبها على جريدته ويلجأ في غالب الأحيان إلى المقابلة

[‡] Winkin (Yves), « *Anthropologie de la communication, de la théorie au terrain* », Seuil Collection, Nouvelle édition, Paris, France, 2001. p19

المعقدة. "لكن أثناء ذلك يجب المحافظة على المسافات من أجل أهداف علمية بين الباحث والشيء المبحوث[§] .

ينتمي تيار الأنثروبولوجيا الاتصالية إلى تيار المذهب النقدي الذي ارتبط بتقليد نقد الفلسفة الغربية ابتداء من زمن "كانت"، وكذا نقد الايدولوجيا ابتداء من أواخر القرن 19 في أوروبا. "بنيت المدرسة النقدية كل اشكالياتها البحثية في بداية تأسيسها على نقد الثقافة الجماهيرية، وقد كان للماركسيين الجدد الذين أطروا هذا التوجه الدور الأساس في المنحى... وهو الجيل الذي وجه المدرسة نحو الاهتمام بكل ما هو ثقافي"^{**} ، وعليه تأسس توجه الدراسات الثقافية في منتصف الستينات من القرن الماضي.

عرفت سنوات الثمانينات منعرجا حاسما في توجه الدراسات الثقافية بعدما أدخل الجيل الجديد "البعد الايثوغرافي" في تحليل مضامين وجمهور وسائل الإعلام وقد كانت الأعمال الأولى لـ"ريتشارد هوغارت" في الخمسينات حول "تلفزيون الفقير" هي المؤسسة لايثوغرافية ذاتية لكل الأبعاد الخاصة بالحياة اليومية للطبقة الشعبية ، فكانت البداية لتأسيس ايثوغرافية الاتصال كما شكلت أعمال "دافيد مورلي" بعدها ورفاقه المرجعية التي نقلت توجه الدراسات الثقافية إلى الاهتمام بعناصر العملية الاتصالية من منطلق ايثوغرافي. "ومن بداية التسعينات من القرن الماضي ظهر وتأسس بشكل واضح التوجه الأساسي في دراسات أنثروبولوجيا الاتصال اليوم الذي ركز محور الاهتمام نحو دراسة المؤلف في الاتصال، دراسة الفعل الاتصالي اليومي"^{††} ، أي الاهتمام كما يقول "وينكين" بكل عرض بسيط من الحياة اليومية الذي أصبح يستدعي أنثروبولوجيا الاتصال بكاملها.

مقاربة البناءات الذهنية الفردية:

إن الحسم لصالح " البناءات الذهنية الفردية" كمقاربة للبحث كان جد مقصود، بحيث أردنا إعادة الاعتبار للفرد وهو الاتجاه الحديث لدراسات الجمهور، فالفرد هو القوة المحركة

§ Winkin (Yves), ibid. p16 .

^{**} بوجمعة رضوان، مرجع سبق ذكره. ص08.

^{††} بوجمعة رضوان في:

» (1998) les systèmes de communication, Lohisse Joen , مرجع نفسه.

في كل المجتمعات. فمقاربة البناءات الذهنية الفردية لها علاقة كبيرة بالجمهور الفرد الذي أصبح له قوة. إن اختيارنا لهذه المقاربة يعود أيضا إلى كونها تعيد الاعتبار للفرد كما قلنا، و الذي همش كثيرا في إطار الخطاب الديماغوجي الذي كرس في جزائر ما بعد الاستقلال، و هو خطاب "شعبوي" "Populiste" يمجّد الجماعة على حساب الفرد. استعملت هذه المقاربة من طرف الباحثة "Sonia Livingston" التي قامت بدراسة 16 عائلة بشيكاغو، وهي الدراسة التي نشرت في مجلة "Réseaux" العدد 79 عام 1996 تحت عنوان "معنى التكنولوجيات المنزلية، تحليل في العلاقات ما بين النوعين". استوتحت "صونيا ليفينغستون" أعمالها أساسا من مقاربة "Georges Kelly"، بحيث قدم لنا هذا الأخير عام 1955 في كتابه حول "البناءات الشخصية النفسية" نظريته الجديدة حول الجذور الفلسفية للشخصية الإنسانية. إن اعتمادنا على هذه المقاربة الأخيرة يمنح لنا أولا نظرية للاعتماد عليها في البحث، وثانيا كونها أيضا تمنح لنا مجموعة من الطرق والأدوات التي سوف تسهل لنا عملية اكتشاف مختلف الزوايا لدى مختلف أعضاء الأسرة. وتتمثل الطرق والأدوات التي توفرها لنا هذه المقاربة النظرية في المقابلات الايتنوغرافية المعقدة والملاحظة بالمشاركة.

"تتمحور نظرية البناءات الذهنية الفردية حول ما هي الأشياء التي من خلالها يشكل الأفراد بصورة نشطة عالمهم الظاهراتي (الفينومولوجي)، وتدعي أن الأفراد لا يفهمون العالم إلا من خلال نظام البناءات الذهنية التي تساعدهم على تصنيف وربط الأحداث"##. في حين يرى "بلومر" أن الأفراد في سلوكهم اتجاه الأشياء يرتبطون بالمعنى الذي تحمله هذه الأشياء إليهم، فمعنى هذه الأشياء يتأتى وينطلق من التفاعل الاجتماعي مع الآخرين. وتمنح هذه المقاربة حرية كبيرة للفرد من خلال التركيز فقط على البناءات الذهنية الخاصة به رغم الاعتراف بتداخل هذه الأخيرة مع سلطة الجماعة وقوانين المجتمع. وإذا كانت بعض الأعمال سابقا تمجد الجماعة حسب تفكير "دور كايم"، وأخرى

Livingston (Sonia), « *la signification des technologies domestique, une analyse des constructions mentales individuelles dans les relations familiales entre les sexes* », in réseaux n°79, CNET, 1996.p06

تجدد الفرد حسب علم النفس، فإن الاتجاهات الحديثة تدعو إلى دراسة العلاقة ما بين الطرفين وهو ما سندرسه من خلال علاقة الفرد بالمجتمع لأن البناءات وإن كان الفرد هو الذي يبنئها إلا أنه يبنئها من خلال العلاقة مع المجتمع. إن الأفراد لا يشكلون وحدات اجتماعية مستقلة كما يدعي علم النفس، بل إن أنشطتهم وممارساتهم تسمح بالتعرف على الصيغة التي يتحقق بها الجماعي، إذ أن ملكة الاستعداد الداخلي كما يحددها "بورديو" تعبر في الحقيقة عن الجماعي والفردية.

ينتمي المذهب البنائي إلى سوسيولوجيا المعرفة التي أسس برنامجها القوي الفيلسوف "David Bloor" ولقد وسع في مقدمتهما كل من "بيتر بيرجي" و"توماس لوكمان" سوسيولوجيا المعرفة التي كانت سائدة سابقا والتي كانت منحصرة أكثر في المعرفة النظرية إلى المعرفة العادية ومن خلال هذا فقد وسعها إلى صيرورة البناء الاجتماعي للواقع... وانطلاقا من الإلهام الشوتزي سوف ينطلقون إذن من معرفة الحياة اليومية ونشاطها في وضعيات وجهها لوجه،^{§§} فنقطة البداية حسبهم في البنائية الظاهرانية تكون من الأفراد وتفاعلاتهم.

أهمية الاهتمام بعالم الحياة اليومية **World of everyday life**:

يعود اهتمامنا بالاتصال إلى كونه أحد المجالات التي قد تسمح لنا من الاقتراب من المعرفة الحقيقة الخاصة بالمجتمع الجزائري، فهو المجال الذي بإمكانه أن يسبر أغوار الحياة اليومية للأفراد العاديين، وهي حياة مألوفة تجعلنا غالبا نعتقد أننا نعرف من خلال الاعتماد على فهمنا السابق للأشياء، ولا نحاول أن نبذل جهد في تناول الأشياء تحت زاوية أخرى.

انطبق اهتمامنا بعالم الحياة اليومية للأفراد كونه اهتمام اتجاه الدراسات الحديثة التي ترى أنه لا يمكن اعتبار المعرفة الساذجة لا معرفة.

^{§§} Corcuff (philippe), « **Les nouvelles sociologies** », Nathan édition, Paris, France, 1995.p 56.

شهدت سنوات التسعينات من جهتها تحول مهم في توجه أبحاث الأنثروبولوجيا الاتصالية من خلال الاهتمام بدراسة الكلام الذي ميز بداياتها إلى التوجه الذي يركز محور الاهتمام بدراسة الفعل الاتصالي المألوف.

يرى "كوفمان" Kaufmann " أن "باستطاعة الإنسان العادي أن يعلمنا الكثير"، فلا ينبغي اعتبار المعرفة العامة لا معرفة، ذلك لأنها تقدم لنا قيمة علماجتماعية معتبرة ما دامت تنطلق من معرفة علمية أو تطبيقية تزيج الستار عن مصالح واستراتيجيات الفاعلين الاجتماعيين *** .

سنهتم في هذه الدراسة بالعالم الذي يتأسس يوميا وليس بالعالم المؤسس مسبقا. ونجد هذا التوجه في علم الاجتماع القائم على الاعتبارات الظاهرية. وعليه طرحت الظاهرية الاجتماعية المفهوم الأكثر لغزا : "عالم الحياة اليومية".

يعد عالم الحياة اليومية "المجال الكامل الخاص بتجربة الفرد المحاط بالأشياء والأشخاص والأحداث والتي يلاقيها في سعيه إلى تحقيق الأهداف في الحياة" + + + ، وهو العالم الذي محور حوله "شوتز" توجهه الأساسي فاكشف أن إشكالية "علم الاجتماع" هي الحياة اليومية كما تتم تجربتها من قبل الأفراد المشكلين لهذا المجتمع، وأن حقيقة الحياة اليومية هي الحقيقة العليا.

يعتبر ما يحدث أمامنا شيء عادي إلى درجة أنه لا يثير أي انتباه منا، فهو "العالم الذي نعيشه بشكل روتيني ولا نتساءل في غالب الأحيان عنه" + + + ، على رغم من أننا في بعض الأحيان قد تلاقينا فيه ظواهر استثنائية. "فهو من المفروض أن يكون عالم ل طرح التساؤلات حول كيف يعيش الإنسان في عالم الحياة اليومية بهذا الشكل وليس بشكل آخر" \$\$\$. كما أننا نتجاهل العديد من الأشياء الموجودة أمامنا. فالعادة طبيعة

*** فوزي عادل: "علم الاجتماع الانثروبولوجي"، ترجمة "العياشي عنصر" في: Kaufmann et Jean

« Claude, « l'entretien compréhensif »، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2000، ص 21.

+ + + عزى عبد الرحمان: "الفكر الاجتماعي المعاصر و الظاهرة الاتصالية، بعض الأبعاد النظرية الحضرية، ط 1، دار هومة، الجزائر، 1995، ص 73.

+++ بوجمعة رضوان، مرجع سبق ذكره. ص 49.

\$\$\$ بوجمعة رضوان، مرجع نفسه. ص 76.

سينة.. "فعال الحياة اليومية إذن هو العالم الذي يراه "ادموند هوسيرل" يحمل المفارقة التالية: "العالم المعروف أكثر وما دام انه المعروف أكثر فانه ليس معروف بشكل كامل"، وهي ليست معروفة لأنها مرتبطة بالفاعل والفاعل كفرد ينتج معاني.

سوسيولوجية استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال:

تندرج هذه الدراسة ضمن تيار سوسيولوجيا الاستخدام الذي يأخذ بعين الاعتبار سياق مجمل الحركات اليومية. هذه الأخيرة تركز تحليلها على نظام العلاقات الاجتماعية بما فيها العلاقات ما بين النوعين والعلاقات ما بين الأجيال.

"تعتبر دراسة عالم الاجتماع الفرنسي "بيار بورديو" حول الاستخدامات العادية للفوتوغرافية في السياق العائلي أحد الأعمال الرائدة التي سمحت بتأسيس سوسيولوجيا الاستخدام****. يمتد الاستخدام في الأصل إلى الماضي، بحيث يعنى بالتقنيات والممارسات السابقة، و يوجد ارتباط وتزاوج داخلي لوسائل الاتصال، كما أنه من الضروري في هذا السياق، التمييز أيضا بين مفهومي الاستخدام (usage) و الاستعمال (utilisation). "فالمفهوم الأول يندرج ضمن إطار تساؤل سوسيولوجي يأخذ بعين الاعتبار سياق فعل الاستخدام (le contexte de l'acte d'usage [بالإضافة إلى "التاريخ الشخصي للمستخدم في تعامله مع الأجهزة التقنية، و تصوراته تجاهها..الخ]، أما المفهوم الثاني فيشير إلى إشكالية ارغونومية، يتم فيها فهم فعل الاستخدام في وضعية ضيقة- وجها لوجه- تجمع المستخدم بالجهاز التقني، و تقيمه تبعا لمطابقته لكيفية استعمال محددة (Thévenot,1993, p.87 ; breton et Proulx,2002, p.257) ... +++++.

في هذا الصدد، حاولنا اكتشاف ما هي الأجهزة التي تم التعامل معها قبل التعامل مباشرة مع الانترنت على مستوى المبحوثين كما سنرى ذلك لاحقا.

**** Breton (Philippe) et Proulx (Serge), « *l'explosion de la communication à l'aube de XX siècle* », Casbah édition, Alger, Algérie .2002. p.257.

++++ السعيد لوصيف: "الاستخدام و الاستعمال و الممارسة و الاستحواذ: غموض المفاهيم و معانيها لدى طلبة ما بعد التدرج، قدمت هذه الورقة في إطار تكوين طلبة الماجستير (دراسات الجمهور) للسنة الجامعية 2007/2008

يعتبر الاستخدام إذن ظاهرة معقدة تترجم في سلسلة الوسائط المتداخلة Enchevêtrées ما بين الأفراد الفاعلين والتجهيزات التقنية (Hannion, 1993). "يطرح مفهوم الاستخدام (usage, use) عدة مشكلات عند تبنيه في البحوث الأكاديمية، بحيث يأخذ عدة معاني على حسب المنظور الذي يتم فيه التناول (المنتجين/ المصممين أو المستهلكين/ المستخدمين)"****. فهو يشير إلى عدة تعاريف ليس متفق عليها بالضرورة. ولقد "أدرج القاموس السوسولوجي Robert عام 1999 معنيين له، فأول معنى يتلاقى مع "الممارسة الاجتماعية التي ومن خلال قدمها أو تكرارها المستمر تصبح ممارسات عادية في ثقافة ما". بمعنى الاستخدام يتم في سياق من الممارسات (العائلة، التسلية، العمل) وفي هذه الحالات من السياقات تتولد المعاني الاجتماعية لها"****. وعليه يشير (Pierre Chambat, 1994) إلى أن الاستخدام ليس شيء طبيعي ولكنه نتاج اجتماعي. "فالاستخدامات تعني الممارسات الثقافية التي تحدث باستمرار في الحياة اليومية والتي يتم التعايش معها وكأنها ممارسات عادية ومقبولة (Pierre Ansart)".***** لكن يبدو أن هذا التعريف لا يشير بالضرورة إلى الأشياء التقنية. أما المعنى الثاني الذي يقدمه نفس هذا القاموس لكلمة استخدام تشير إلى الاستخدامات الخاصة التي يمكن أن يقوم بها فرد أو جماعة اتجاه شيء أو جهاز... ويتعلق الأمر هنا بتوضيح الاستخدامات الاجتماعية والمعاني الثقافية المحددة لهذه التوجهات أمام الأشياء أو الأجهزة في الحياة اليومية. وهو ما يتماشى أيضا مع البراديجم الحديث للتفاعل الذي لا يشير فقط إلى تفاعل الأفراد بل يضم أيضا تفاعل الشخص مع الشيء أو مع الجهاز.

ويعد في هذا الصدد "الممارس النشط" الذي يبني علاقات متطورة وغير مستقرة أهم نموذج أوجدته "سوسولوجيا الاستخدام" حسب "جوزيان جوي".

استخدامات الأنترنت و دراسات النوع Gender Studies :

**** السعيد لوصيف: المرجع نفسه.

**** السعيد لوصيف: المرجع نفسه

***** Breton (Philippe) et Proulx (Serge), op cit. p256.

تسجل هذه الدراسة أيضا ضمن ما يسمى في الحقل الأكاديمي الغربي بـ "دراسات النوع" وهذا باعتبارها تعنى بفحص استخدامات النوعين للإنترنت في الفضاء المنزلي.

بدأ الانشغال يثار حول موضوع النوع وعلاقته بالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال في نهاية التسعينات ضمن تيار ما بعد الحداثة. وترتكز هذه التحاليل في جزء منها على التحاليل السابقة التي تناولت بالأساس موضوع المرأة وعلاقتها بالتكنولوجيا مهما كان نوعها، لتنبثق عنه تحاليل ارتبطت بتفسير علاقة المرأة بوسائل الإعلام ثم علاقة المرأة بالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال. هذا الاتجاه الأخير أعطى نفس قوي لأبحاث النوع التي ظهرت فيما بعد وحاولت تفسير علاقة النوع بالإنترنت. ساهمت التيارات النسوية أيضا في ظهور أبحاث النوع في العلوم الاجتماعية أولا ثم في الدراسات الثقافية خاصة إذا ما علمنا أن تقليد دراسات النوع ينتمي إلى فضاء الدراسات الثقافية من خلال الاتجاه الأنثوي للثقافة الجماهيرية. شهدت نفس الفترة نهوض للحركات النسوية عبر العالم ' وقد تم ضم هذه الإشكالية إلى تيار النظرية النقدية لوسائل الإعلام التي ألحت على أهمية الاعتراف بها.

ساهمت مجلة " **Signs** " لجامعة شيكاغو في تأسيس أول مخطط لبث دراسات النوع حول وسائل الإعلام.

"أشارت سوسيولوجيا الاستخدام إلى أهمية النوع في طرق تبني واستيعاب أجهزة الكمبيوتر " +++++ خاصة بعدما طرح آنذاك بحدّة موضوع اللامساواة ما بين البنين والبنات في الولوج إلى التكنولوجيات الإعلامية.

ويبدو أن البيئة الجامعية كانت تمنح "ميادين بحث سهلة الولوج إليها بالنسبة للباحثين الذين يقومون بملاحظة ووصف علاقات الطلبة والطالبات مع جهاز الإعلام

++++ Jouet (Josiane), « **technologie de la communication et genre : des relations en construction** », Réseaux n°120, CNET édition ,France, 2003/2004..p.55.

الآلي.####. وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن سنوات الثمانينات تتوافق مع الفترة التي ظهرت فيه وتطورت أبحاث حول السياقات خاصة بعد أبحاث "دافيد مورلي". وعليه أصبحت مواضيع "النوع والانترنت" ومنذ سنوات التسعينات حاضرة بكثرة في دراسات النوع، بمعنى بعد ظهور وتطور الشبكة العنكبوتية العالمية، وعليه "تم التطرق إلى قضية النوع والتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال بصورة مطولة لأول مرة في وثيقة لمنظمة تطوير الاتصال الدولي عام 1995، (Burch and Loon). \$\$\$\$\$\$

وعليه شهدت سنوات التسعينات سلسلة مذهشة من الإسهامات التي نشرت في مجلة " Signs والتي اهتمت بكشف مسألة البناء الاجتماعي والنوعي للمهارات. وإذا كانت أبحاث سنوات التسعينات قد اهتمت بعلاقة النوع بتكنولوجيات الإعلام والاتصال في فضاء العمل خارج المنزل، فإن إسهامات سنوات 2000 كانت أقل اهتمام بهذا المجال، وبدأ يظهر جزئيا أن "مركز الاستقطاب والاهتمام بالتحليل قد تحول من الفضاء المهني إلى الفضاء المنزلي، وهذا يعود من دون شك إلى تغلغل الكمبيوتر الشخصي ثم إلى انتشار الانترنت في الإطار الخصوصي العائلي *****". كما شهدت هذه الفترة ظهور مقاربات جديدة تركز بالأساس على ممارسات وملاحظة الوسط الجزئي، لكن هذا لا يستثني أيضا أن هناك العديد من الدراسات وهي دراسات كمية في أغلبها كانت تأخذ النوع كمتغير لكن لم تكن تهتم به بالمقارنة مع المتغيرات الأخرى التي كانت تحظى بنفس درجة الاهتمام أو بأكثر أهمية من متغير النوع.
عينة الدراسة:

Gardez (Delphine), « **De la domination à l'action : Quel genre d'usage de technologie de l'information ?** », réseaux n°

120 ,CNET ,2003/2004.p91 .

\$\$\$\$\$ Gurumurthy (Anita), « **development gender : genre et tic** », in Bridge, Panorama, juin 2006. Pdf.p13.

***** Gurumurthy (Anita), ibid.

تسجل هذه الدراسة ضمن أبحاثنا من أجل نيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام و الاتصال وقد جاء موضوع هذه الأبحاث تحت عنوان "السياق الاتصالي لجمهور الانترنت في الجزائر" تحت اشراف الدكتور "رضوان بوجمعة".

بالنسبة للإطار المكاني فان بحثنا شمل مدينة بجاية التي تمتاز بإحدى الخصوصيات الثقافية المتمثلة بتعاملها بإحدى لهجات لغة "تمازيغت" وهي لهجة "ثاقليث"، هذه المدينة التي نقطن بها وننقن جيدا لغتها قمنا باختيارها حرصا منا أن تشمل العينة أفراد تربطنا بهم إما صلة قرابة أو صداقة أو تجاور وهو ما يتماشى والتوجه الايثنوغرافي. انطلاقا من هذا المبدأ تضمنت عينة الدراسة تسع عائلات بجاية يشكل الانترنت جزء من حياتهم اليومية، وهم أفراد تجمعنا معهم علاقات القرابة، وهو حال خمس أسر موزعة بين قرى "احدادان"، "اغيل اعزوق"، "سيدي احمد" ببلدية بجاية، وقرية "بوسبعة" ببلدية أميزور، علاقة صداقة و هو حال ثلاث عائلات من "احدادان"، و علاقة تجاور وهو حال عائلتين من "احدادان" التي نقطن بها. ترفع طبيعة علاقتنا مع المبحوثين من حظوظ الالتقاء بهم كبيرة وهو ما سوف نستغله في كل مرة من اجل إثارة مواضيع حول وسائل الإعلام بصورة عامة ليتم استدراجهم شيئا فشيئا للحديث عن الكمبيوتر والانترنت حتى نكتشف نوع البناءات الذهنية التي يحملونها حول هذه الوسيلة.

سنعتمد في دراستنا هذه على الأنثروبولوجيا كأداة من خلال الاستثمار الايثنوغرافي للسلوكيات والأشياء من أجل محاولة الاقتراب من حقيقة الظاهرة محل الدراسة وذلك ابتداء من شهر ماي 2009 إلى غاية شهر نوفمبر 2010 وضمن سياق ولاية بجاية مع كل الخصوصيات الخاصة بها. إذ حسب معايير هذا التوجه يجب أن يسجل العمل الميداني في نفس الوقت في الزمان والمكان كما يجب أن يلج الباحث كليا وبصورة أحادية في المجتمع الذي يبحث فيه على الأقل لمدة سنة وهو ما يتماشى أيضا مع التوجه النقدي الذي يرى بدوره انه ولانجاز دراسة نقدية بآتم معنى الكلمة فيجب أن يدوم ذلك على الأقل لمدة عدة سنوات.

المقابلات المعمقة:

تبعاً لمقتضيات البحث الايثنوغرافي، اعتمدنا على المقابلات المعمقة و تم التقابل مع 59 فرد ، منهم 29 إناث، و 30 ذكور، و دامت كل مقابلة من 45 إلى 60 دقيقة.

نشير أولا أننا لم نتبع نموذجا معيناً في إجراء المقابلات وتسجيل الملاحظات بل إن الخطوات التي اتبعناها في هذا الإطار كانت استجابة إلى متطلبات البحث. تم إجراء المقابلات بصورة فردية، و هو ما مكننا من محاولة التأكد من صحة ما قيل لنا من طرف كل عضو، بحيث قمنا باستجواب بعض الأعضاء عن الأعضاء الآخرين للعائلة في حالة الشك بمصداقية المستجوب، كما مكنتنا هذه العملية من التأكد من بعض الإجابات التي كانت متطابقة. وتم إجراء المقابلات المعمقة على مرحلتين:

المرحلة الأولى:

(1)- القيام بزيارات أولى للأسر وهي زيارات كانت بالأساس للحصول على الموافقة والاستعداد لإجراء البحث من طرف العينة، و هي زيارات تمهيدية تحصلنا من خلالها على أولى المعطيات حول تموضع الانترنت؟ من يستخدمه؟...الخ.

(2)- القيام بإجراء مقابلات معمقة سمحت لنا بجمع معطيات مهمة ساعدتنا على صياغة بعض التساؤلات التي ساعدتنا على البحث حول توجهات أفراد عينتنا في استخدامهم للانترنت. وما هو نوع البناءات الذهنية الفردية التي يقيمونها اتجاه هذه الوسيلة.

(3)- بعد إجراء المقابلات قمنا بإجراء زيارات متكررة لهذه الأسر في إطار الزيارات الأسرية وهو ما سمح بتسجيل بعض الملاحظات التي سمحت لنا برصد وتتبع البناءات الذهنية لدى المبحوثين، خاصة باعتبار أن الإطار الزمني للدراسة دام سنة ونصف، فلا يمكن للاستخدامات أن تبقى نفسها على جميع المراحل.

المرحلة الثانية:

و تعد هذه المرحلة آخر مرحلة قمنا بها في هذه الدراسة و استهدفت أساسا:

- التحقق من المعطيات التي جمعناها ميدانيا.
 - استكمال بعض المعلومات التي رأيناها مهمة لإجراء التحليل وتأكيد بعض الملاحظات التي سجلناها أثناء البحث، ثم أخيرا قمنا باستنتاج النتائج.
- كما اغتئمتنا الفرصة في هذه المرحلة الأخيرة لإجراء مقارنة بين الاستخدامات الأولية للجهاز التي بدأت منذ اقتناء الوسيلة والاستخدامات الحالية و التي تمثلت في الدراسة

في الاستخدامات التي تعود إلى ثلاث الأشهر الأخيرة من عمر هذه الدراسة وهي بالضبط من شهر سبتمبر إلى غاية شهر نوفمبر من عام 2010.

متغيرات الدراسة:

إلى جانب متغير النوع كمتغير أساسي، نحصي عدد آخر من العوامل التي تؤثر على استخدامات الأنترنت منها المتغير الجغرافي، الدخل و الاستهلاك، المستوى الدراسي، المهنة و كذا السن.

المتغير الجغرافي:

يتوقف بحثنا على دراسة أهل الحضر، وعليه فإن الاتجاه الغالب في المدينة هو سهولة الولوج إلى التكنولوجيا وإلى الأنترنت بالخصوص. كما أن الهندسة المعمارية سوف يكون لها نصيبها، فاختفاء "أفراق"++++++ في المدينة سوف يحل محله مدرجات العمارة التي من خلالها سيتم تبادل الحديث عن وسائل الإعلام ومنها بالأخص أحاديث عن الأنترنت وهو الأمر الذي يساهم في تبني بناءات ذهنية فردية معينة.

اقتصر مجال دراستنا على المدينة، بحيث لا يزال الولوج إلى الأنترنت أفق بعيد لبعض الأفراد خاصة لدى سكان الريف الذين يمثلون أكثر المنسيين من طرف تكنولوجيات الإعلام و الاتصال بسبب غياب الهياكل القاعدية وارتفاع أسعار الاستخدام، بحيث غالبا ما يتطلب الأمر الانتقال إلى المدينة أو مقرات البلدية من أجل تلقي تكوينات حول الإعلام الآلي أو من أجل الولوج إلى مقاهي الأنترنت.

متغير الدخل والاستهلاك

إن امتلاك أجهزة اتصالية جديدة يتم بالموازاة مع الدخل وأولويات الأسرة. فالأنترنت ينحصر على عائلات ذات دخل معين.

لا تحظى تكنولوجيات الإعلام و الاتصال، و منها الأنترنت بأهمية كبيرة لدى اهتمام السلطات المحلية بحكم أنها لا تزال تواجهها ميدانيا تحديات أخرى منها نقص مياه الشرب، التزويد بالكهرباء، توفير مرافق صحية...الخ.

تطلق كلمة "أفراق" بالقبائلية على مساحة جغرافية صغيرة يتم تقاسمها مع المنزل المجاور، و هو فضاء نسوي بالدرجة الأولى.++++++

تتوفر اتصالات الجزائر/ بجاية على خمس وكالات تجارية في كامل تراب بجاية لتسويق خدماتها"*****، و تتوزع اثنتين منها في مدينة بجاية أحدهما تتواجد بشارع الحرية، و أخرى بـ "أعمريو"، في حين تتوزع الثلاث الأخرى المتبقية في كل من سيدي عيش، أميزور، أقبو، في انتظار فتح وكالة جديدة في أوقاس، و هي الوكالة التي فتحت فعلا فيما بعد.

تم تشريع الإعلام الآلي في الجزائر، خاصة بعد برنامج أسرتك الذي يسهل الطريق نحو امتلاك الانترنت لدى الأسر، وتم إطلاق هذا المشروع لأول مرة عام 2004 من طرف رئيس الجمهورية، و يضم المشروع "كمبيوتر لكل عائلة"، "لكن يبدو أن هذا المشروع قد فشل بسبب الطابع المالي و التجاري البحث لهذه العملية... في ظل إقصاء المجتمع المدني فيها." \$\$\$\$\$\$

برزت استخدامات أجهزة الكمبيوتر في المنزل في نفس الوقت الذي بدأ يتم تبني طرق جديدة في السكن وكذا تأثيث المنزل خاصة بعد التحولات الزوجية التي عرفها المجتمع الجزائري. يذكر هنا أن ارتفاع أسعار إدخال الانترنت إلى المنازل جعل الكثيرين يتردد على إدخالها رغم تحمسهم للفكرة جيدا. إضافة إلى ذلك فإن عدم توفر أجهزة المودم الكافية لدى "l'Actel Béjaia" كان السبب الرئيسي لعدم الاقتناء في بعض الأحيان لدى بعض الأسر التي تملك الإمكانات و تعبر عن رغبة في امتلاك الانترنت في المنزل.

لم يكن المنزل في البداية مجهز بعدة أجهزة، و لكن اليوم أصبح الاتجاه أكثر فأكثر نحو امتلاك أجهزة جديدة، كما يمكن تسجيل التغير على مستوى النموذج الاستهلاكي لدى الأسر. تتمثل هنا الوظيفة الأساسية للاستهلاك في قدرتها على توليد المعنى. وهذا ما عبر عنه "ميلر" بـ "فعل الاستهلاك" الذي يقوم من خلاله الأفراد بإضفاء معنى على أجهزة الاستهلاك التي يملكونها. في هذا الصدد، دخلت الأنترنت البيئة الجزائرية منذ منتصف التسعينات، بحيث بنيت العديد من الدراسات علاقة الفرد بوسائل الإعلام. فسبقا لم

***** مقابلة مع المدير السابق لاتصالات بجاية يوم 2010 /03/21 بمقر المديرية.

\$\$\$\$\$\$ opération ousratic : les raisons d'echec, el watan n° 5692, p104, 21 juillet 2009 .

يكن استهلاك الأجهزة بهذا الشكل، ف شراء جهاز كان حدث كبير في الأسرة، في حين اليوم يكاد يكون لا حدث. في هذا الصدد، يعد إدخال الانترنت إلى المنزل قضية مادية أكثر من كونها قضية رمزية مثلما حدث بالأخص مع جهاز البارابول. فالعديد من الأسر تحفضت أمام جهاز البارابول و ذلك لأسباب أخلاقية وقيمية، في حين فان الخطاب العام الذي يتم تداولها على أفواه الأبناء في الفضاء المنزلي حول الانترنت الذي يعتبر بالدرجة الأولى وسيلة للدراسة جعل الأولياء يقفون موقف محايد، فالمشكل الوحيد الذي يطرح في كل عائلة هو من سيمول المشروع أكثر من كونه قضية قيم. و يعكس هذا الموقف جهل بالوسيلة.

من جانب آخر لا ترقى الخطابات العمومية التي رافقت ميلاد و تطور الأنترنت في الجزائر الى مشروع يهدف توعية المجتمع حول هذه الوسيلة. في هذا الصدد، "استأثر الخطاب الرسمي في الجزائر بحق الحديث عن تكنولوجيات الإعلام و الاتصال في غياب نقاش وطني حول المسألة، و في غياب خطاب أكاديمي علمي حول الموضوع، أما الخطاب الإعلامي فتميز بالاحتفاء بتكنولوجيات الإعلام و الاتصال، و عكس إلى حد ما الطروحات المروجة و المبجلة لهذه التكنولوجيات، و التي تخفي ورائها في غالب الأحيان الرهانات التجارية و الاقتصادية"*****.

تتعلق تصريحات المسؤولين والدوائر الرسمية للدولة الجزائرية حول تكنولوجيات الإعلام و الاتصال من نقطة مشتركة وهي أن التكنولوجيات تمثل سمة العصر، و حتمية لا مفر منها و مرحلة من التقدم ينبغي الوصول إليه. يرى "عبد الوهاب بوخنوفة" "أن الخطاب الرسمي في الجزائر نحو تكنولوجيات الإعلام و الاتصال خطبا تقنويا، احتفائيا يعيد تذكيرنا بفترة السبعينات التي هيمن فيها الخطاب التقنوي الرسمي على أطروحات التنمية، حيث اعتبرت التكنولوجيا آنذاك أداة أساسية للخروج من التخلف و تحقيق

***** عبد الوهاب بوخنوفة: "المدرسة، التلميذ و المعلم، و تكنولوجيات الإعلام و الاتصال، التمثل و

الاستخدامات دراسة عي على عينة من التلاميذ و المعلمين في الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة الدولة في علوم

الإعلام و الاتصال. 2007/2006. ص 229.

التنمية الاقتصادية، ولم يول هذا الخطاب أي اهتمام للإنسان بوضعه المحرك الأساسي
وغاية هذه التنمية"++++++

المستوى الدراسي:

تم اعتماد متغير المستوى التعليمي من أجل تمييز المستخدمين، باعتبار أن استخدام
الانترنت ينحصر على الفئة المتعلمة.

متغير المهنة:

بالنسبة للجامعيين و المهنيين، فان الانترنت وسيلة إما للدراسة أو للعمل، لكن البعض
الأخر من الجامعيين من فئة الإناث تبين موقف بارد أمام الجهاز. من جانب آخر
فان استخدام بعض الفئات المهنية (ذكور و إناث) للانترنت في العمل يجعل منهم غالبا
ما لا يحبذون استخدام هذه الوسيلة في المنزل، فالمنزل بالنسبة لهم مكان للراحة أين لا
يحبذ ممارسة أي شيء يذكره بالعمل، و هو حال "ل.ه" في أسرة "س.ه" و حال احد
ذكور أسرة "ي.م"، بحيث نتجه مثلا "ل.ه" إلى عدم استخدام الانترنت كثيرا في الفضاء
المنزلي لأنها لا تملك الوقت الكاف لذلك في المنزل كما تقول، في حين يعبر "ي.م"
عن اقتصار استخداماته للانترنت في المنزل ليوم الجمعة فقط تقريبا بحيث يغتنم فرصة
اشتغال المؤسسات الأجنبية، فالاستخدام المهني للانترنت في مكان العمل جعل هذا
المستخدم يمل منه في المنزل، بحيث يذكره بالعمل والجدية.

متغير السن:

ترتبط البناءات الذهنية الفردية ارتباط وثيق بهذا المتغير، فالجيل السابق أحدث
بعض من هذه الأجهزة الاتصالية من دون أن يشك للحظة أن الجيل الجديد سوف
يستعملها أثناء اتصالاته بطريقة لم يفكروا فيها سابقا. بحيث أن الأطفال المولودين
وجدوا هذه الوسائل موجودة مسبقا، و هو ما قد يؤدي بهم إلى تمثل بناءاتهم بطريقة
مختلفة من تلك التمثيلات التي تحملها الفئات الأخرى، و بالأخص كبار السن الذين
شهدوا ظهور الآلات واحدة تلو الأخرى. يولد الشباب اليوم و يجد أجهزة الاتصال
موجودة، فلم يختار الأولاد المولودين في هذا الديكور بقوة نفس الأسباب من أجل تبني

++++++ عبد الوهاب بوخوافة، المرجع نفسه، ص228.

هذه الأجهزة و عليه يملك الجيل الشاب موقف مختلف عن الجيل الذي سبقه، و هو ما يجعل البناءات تختلف حسب الأعمار .

في هذا الإطار، يبدي المراهقين من النوعين اندفاع كبير أمام الآلة التي تستجيب إلى اهتماماتهم: كالرغبة في تقديم وعرض الذات للآخرين، وتعد بالنسبة لهم وسيلة للتسلية ، لقضاء وقت الفراغ ولربط علاقة مع الآخر، وهي كلها دوافع نفسية وعاطفية، فهذه الفئة تعد الأصغر سنا في الأسرة، و عليه فهي الأقل تحملا للمسؤوليات، و بالتالي سمح هذا بتوفر الوقت لديهم أكثر و الذي تم استثماره في هذه الوسيلة. ما عدا عائلتين كان فيها التحكم لصالح الابن الأكبر (عائلة ن.ن)، و الابنة الكبرى (عائلة ع.ه)، فإن جميع الحالات الأخرى تقريبا كشفت عن تحكم أكبر بالجهاز لصالح الابن أو الابنة الصغرى. و قد نفسر هذا من خلال الفئة العمرية، ففي العائلتين التي تم فيها ملاحظة التحكم الكبير بالانترنت من طرف الابن الأكبر أو الابنة الكبرى كان فيهما معدل العمر 16 سنة، و إن استحداث الإعلام الآلي لأول مرة يعود إلى حوالي عشر سنوات، بمعنى أن هذه الفئة ولدت و وجدت هذه الأجهزة حاضرة داخل الديكور اليومي للمنزل من جهة، و من جهة أخرى فان عامل المراهقة أيضا مهم كما أشرنا سابقا في جلب الاهتمام نحو هذه الوسيلة، ففي ثلاث أسر فإن التحكم بالجهاز كان على يد ثلاث مراهقين ، منهم مراهقين اثنين يعدان هما الأصغر في المنزل، في حين تم ملاحظة تواجد فئات عمرية أخرى تتحكم في الانترنت، لكنها لم تجد هذه الأجهزة موجودة منذ ولادتها، بل شهدت على وصول الإعلام الآلي ثم الانترنت بعدها، واحد تلو الآخر .

توصلت دراسة أجرتها "صونيا ليفينغستون" (2003) في بريطانيا أن 75 في المائة من مستعملي الانترنت تتراوح أعمارهم بين 7 و 16 سنة، بينما يتناقص إقبال الراشدين (25 في المائة المنافسة) كلما ارتفع معدل السن إلى أن تبلغ الأمية الالكترونية أوجها لدى فئة العمر الأكبر من 50 سنة *****.

***** على قسايصة: "المنطلقات النظرية و المنهجية لدراسات التلقي - دراسة نقدية تحليلية لأبحاث الجمهور في الجزائر- (1995-2006)"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام و الاتصال، 2007/2006، جامعة الجزائر، الجزائر ، ص220.

يقول "ايف وينكين" أن وصف حدث ما يجب أن يكون وفق ألفاظ النسيج الذي نسج فيه"، و عليه سوف نراعي في الجزء الموالي للدراسة استخدام نفس الكلمات الأصلية كما ينطق بها مجتمع البحث أولا ثم نترجمها فقط كي يفهما الجميع، رغم إيماننا جيدا أن الترجمة تقضي على معنى الشيء.

بالنسبة للفئات المسنة، يقوم غالبا العجزة بتفسير نفورهم من تكنولوجيات الإعلام والاتصال على أنه منتج أجنبي، و الأجانب هم غرباء عنا و عن تقاليدنا، إن كبار السن يحملون صورة مشوهة عن الآخر خاصة حين يتعلق الأمر بوسائل الإعلام. و قد تعود جذور هذا النفور كامتداد للنفور من كل ما هو تكنولوجيا أو تقنية. ، بحيث لمسنا أثناء بحثنا أن فئة العجزة تستحسن قهوة "ثاغلايث" و يقولون أنها أكثر لذة من أي قهوة تم تحضيرها بآلة إعداد القهوة . و عليه يقر العجزة على أن قهوة "ثاغلايث" هي أحسن قهوة على الإطلاق.

يقاوم كبار السن غالبا التقنية على الرغم من أن التلفزيون يستهوي البعض منهم كثيرا، فهو يساعدهم على تمضية وقتهم، و تكمن خطابتهم عن الآلة هي انه و رغم فوائدها إلا أنها مضرّة في ناحية ما لا يعرفونها، فهم يؤمنون دائما بفكرة أنه سابقا استطاعوا أن يعيشوا حياة أكثر هدوءا و سعادة في ظل غياب كل هذه الوسائل.

زيك نسعا سيدي ربي ، ثرا ربي اثنان قوخابم، والله قاسمي اديلا اقربويابي ارنوفي امانغ ***** .

قدما كنا نعتد على الله تعالى، فلا احد يخبرنا بأحوال الطقس، أما الآن يبدو أن الإله (التلفزيون) في المنزل".

بمعنى أن هذا "القاربوب" كما أسمته مستجوباتنا أصبح يتتبأ بالطقس كما لو كان هو الإله. ونلمس في هذا النوع من الخطاب محاولة محاربة الآلة بوسيلة الدين لأنها حسبها هي الأقرب إلى الإقناع.

***** تعد ثاغلايث أكثر الوسائل التقليدية التي تستخدم لعملية تحضير القهوة بحيث يتم صنع هذه الوسيلة انطلاقا من علب حديدية التي تعد غالبا علب مربي بعد تفريغ محتواها يتم تلفيفها بواسطة سلك حديدي مشكلة بذلك مقبض يسهل عملية تثبيت العلب الحديدية على النار من أجل تحضير القهوة.
مقابلة مع جدة الأسرة رقم 7 يوم 20/03/2010، في المنزل العائلي باحدادن .

ينظر العجزة بازدراء إلى التلفزيون، و بعض التجهيزات الأخرى الذي يقبونه بـ"قربوب"، و هو اللفظ الذي يطلق بالقبائلية على الشيء الذي يحتل المكان من دون أي معنى لوجوده، بمعنى أن هذا الشيء أخذ مساحة في المنزل دون أن يفيد في شيء.
متغير النوع:

لا ينحصر فقط متغير النوع كمتغير أساسي في دراستنا إلى كونه الاتجاه الحديث الذي ظهر في الدراسات الثقافية تحت فرع دراسات النوع بل كان اعتماده انطلاقا من الاستناد إلى بعض الأدبيات التي سبها علم الاجتماع والتي تتحدث عن تقسيم الأدوار على مستوى الأسرة حسب النوع في المجتمع الجزائري كما تناولت ذلك العديد من الأدبيات النظرية.

عموما تم تخيل النساء في الجزائر " أكثر مما تم وصفهن أو حكيهن، و إن القيام بتاريخهن هو أولا الكفاح ضد هذا الجدار من التملات التي تغطيها و التي يجب بالضرورة تحليلها" ++++++ .

يساعد إدراج الانترنت في الفضاء المنزلي هنا على تقديم قراءة حول العلاقات ما بين النوعين في اتجاههم نحو هذه الوسيلة، بحيث أن استخدامات الانترنت تطبع بصيغة ديناميكية هذا الفضاء.

من يقرر فعل ماذا؟

باعتبار أن نسب النجاح في الدراسة و بالأخص الجامعية كما تشير إليه الإحصائيات كل سنة هو لصالح الإناث فان للإناث نسبة كبيرة وراء الاقتناء، و خاصة إذا ما علمنا أن اقتناء أجهزة الإعلام الآلي كان تقريبا في كل العائلات التي درسناها ينحصر في عاملين:

(1)- من أجل تشجيع الأبناء على مواصلة الدراسة.

- و هو غالبا قرار يعبر عنه الأب.

+++++ Malika Kadour : « **le mouvement des droits des femmes** », édition

CRASC , Oran, Algérie .p141.

2- من أجل تقوية الرابط مع أعضاء من العائلة سواء في المهجر أو في منطقة أخرى من الجزائر بعيدة. و هو غالبا قرار نقرره الأم.

في هذا الاتجاه ضمت كل المستجوبات من الفئة المسنة خطابها إلى خطاب الأبناء حول هذه الوسيلة، "انه وسيلة تعليمية".

استخدم معظم أفراد العينة الانترنت لأول مرة عبر مقاهي الانترنت، في حين هناك عدد محدود من الأشخاص الذين اكتشفوه لأول مرة في المنزل وهم غالبا الأطفال الصغار أو المراهقين الذي وجدوا الكمبيوتر بالأخص جاهزا منذ ولادتهم. تعد عموما أولى النشاطات التي تم ممارستها من طرف المستخدمين للانترنت في فتح ايميل رغبة في اكتشاف هذا العالم الجديد بالنسبة للفضوليين، في حين يعد البحث عن المعلومات من أجل انجاز بحوث مدرسية أو جامعية أول نشاط بالنسبة للذين يتبنون علاقة باردة مع هذه الوسيلة، لكن هذا الموقف الأخير قد يتطور في بعض الأحيان بعد اكتشاف الوسيلة إلى علاقة عاطفية معها بدلا من باردة

مؤسسات إنتاج الخطاب حول الانترنت في المجتمع:

يعتبر الخطاب العام المتداول حول استخدامات الانترنت خطاب سلبي، و على الرغم من تخوف بعض هذه الخطابات من الانترنت كوسيلة، إلا أن هذا الاتجاه تم التعبير عنه من طرف المستخدمين في الغالب، فبعض الفئات النسوية التي لا تستخدم الانترنت كثيرا، و بعض الفئات الأمية تتبنى خطاب متفائل حول هذه الوسيلة، فهي تأثرت كثيرا بخطابات الأبناء على انه وسيلة تعليمية بالدرجة الأولى، بمعنى أن بناءات الفئات الأمية حول هذه الوسيلة هي نفس بناءات أبناء الأسر، بحيث روج الكل على انه وسيلة تعليمية، و يحدث هذا في الوقت الذي لم يتم التأكيد بعد في الأبحاث التي أجريت في الميدان على الدور التعليمي لهذه الوسيلة. فهل هذا الموقف يعبر عن الجهل بالوسيلة خاصة لدى الأولياء و العجزة؟.

و تشير في هذا الصدد نتائج دراسة الباحث "علي قسايسية" إلى أن القيمة التعليمية للانترنت لم تتأكد بعد، وقلّة التجربة بها تجعلها مصدر ريب و خشية في كل المجتمعات عامة، و المجتمعات الانتقالية خاصة *****.

***** علي قسايسية، مرجع سبق ذكره، ص 221.

تعتبر جماعات الأصدقاء، المدرسة و وسائل الإعلام من جهتها مؤسسات لإنتاج الخطاب حول الانترنت، و ترويجه في المجتمع ، لكن و رغم ذلك يكشف لنا البعض أن الخطاب العام الذي يدور حاليا حول الانترنت هو خطاب يتخوف من هذه الوسيلة، ففي أغلبية العائلات التي تمت دراستها عبر الأعضاء عن أن الانترنت وسيلة يجب الحضر منها.

كشفت الدراسة عن حالة واحدة فقط من الإناث اللواتي يملكن مدونات الكترونية من دون صورة و اسم حقيقي لأنها تتخوف كثيرا من هذه الوسيلة، في حين فان أغلبية الأسماء المستعملة لدى كل من يميل إلى التشتات لدى النوعين هي أسماء مستعارة لا تعبر عن هوية أصحابها.

الانترنت تخوف أم انبهار:

تعد خاصية القدرة على الإبهار التي تتميز بها الانترنت وسيلة تجعل الكل و رغم بعض الخطابات المعارضة له يرغب في اكتشافه.

اخترق جهاز الكمبيوتر الحياة اليومية للأفراد بحيث تلقينا أثناء مقابلاتنا عدة عبارات تستحسن الانترنت، و قد يعود هذا ربما إلى كون الانترنت تكنولوجيا جديدة دخلت الفضاء المنزلي مؤخرا، فمرحلة علاقة المستخدم بها هي مرحلة الانبهار و الإعجاب بالآلة ما دام أن التعامل يعود إلى حوالي عامين فقط لأغلبية العائلات التي درسناها عكس التعامل مع الإعلام الآلي الذي يعود في العديد من العائلات التي درسناها إلى حوالي عشر سنوات.

تعد مرحلة ما بعد الانبهار بالجهاز مرحلة مهمة جدا، فقد سمحت لنا باكتشاف الاستخدام الحقيقي للانترنت، و عليه ميز بحثنا بين نوعين من المستخدمين:

1)- مستخدمين يميلون أكثر إلى استخدام الانترنت، بعدما سمح لهم تواجده ضمن الفضاء المنزلي التحكم فيه بصورة أحسن، و هو ما سمح لهم باكتشاف نشاطات أخرى تعتبر مهمة ، فقد صرحت أسرة "ن.ن" "انه إذا قضيت ساعة في اليوم أمام الجهاز، فانه علي قضاء أكثر من ساعتين غدا، لأن الساعة التي قضيتها سابقا سمحت لي باكتشاف مواقع و نشاطات مهمة، لكي أعود لاكتشفها بأدق تفاصيلها في اليوم

الموالي"، و لهذا فان الاستخدام يزداد كلما شغلنا الجهاز، و هو حال أيضا أربع عائلات أخرى و بالأخص لدى الفئة الأقل سنا (الأطفال و المراهقين).

(2)- مستخدمين يعد الانبهار بالآلة عامل مهم في استحداث الانترنت، لكن بعد فترة معينة من الاستخدام يكون قد مل المستخدم منه، و لا يميل إلى استخدامه و هو حال إحدى العائلة بأميزور مثلا، على الرغم من أن الاستحداث كان بالنسبة للعائلة بالدرجة الأولى من أجل الاتصال مع ذاويها في الخارج، و عليه فان الابن الأصغر البالغ 30 سنة أوقف اشتراكه في الانترنت، و قام ببيع جهاز الكمبيوتر الذي يملكه.

الانترنت، المكتوب و المجتمع الشفوي:

لا يخيف المكتوب السلطة السياسية فقط كما يرى ذلك "روبرت اسكاربيت"، بل انه يخيف أيضا الجماعات والأفراد العاديين كما كشف عنه على الأقل هذا العمل.

تشير كلمة "الكاغظ" أي "الورق" في التداول القبائلي العام إلى كل ما هو رسمي و شكلي كما يوضح ذلك "رضوان بوجمعة" حين أشار إلى "المكتوب و ثالثو الخوف، الانبهار و التقديس"، وهو الشيء الذي قد يثير الخوف، خاصة و أن المجتمع لا يزال يصير على رفض تسمية الأشياء بأسمائها، فنقول مثلا أعطى الطبيب "ثبرات" أي "رسالة" بمعنى "شيء مكتوب" لمريضه. يثير هذا التعبير في هذا السياق نوع من الخوف، فهو يعبر عن خطورة حالة هذا المريض.

يشاع مثلا في ثقافتنا المحلية التعبير التالي: "أسفغاسد لكارطا" أو "اسفغاسد لكاغظ"، بمعنى "أخرج له ورقة"، ف"الكاغظ" أو "الكارطا" التي تعادل كلمة "ورقة" باللغة العربية تشير بوضوح إلى الخوف من المكتوب لدى المجتمع القبائلي، بحيث تحمل هذه الكلمة سلطة لا مثيل لها إلى درجة التقديس.

ويمكن أيضا الاستدلال بهذا التقديس للمكتوب في الزواج الذي يبرم في "عقد كتابي". فوحدها الكتابة من يمكن لها ردع أحد أطراف الزواج في حالة خرق شروطه، فالزواج ارتباط مقدس، ولا يمكن التعبير عليه إلا بشيء مقدس

وامتد تقديس الكتابة حتى إلى الصحافة المكتوبة، بحيث تشهد الكثير من الملاحظات على ان هذه الوسيلة أبهرت الجميع في السابق، فلا مجال للشك فيما تقوله، لكن هذا الاتجاه انقلب اليوم بحيث أصبحت الصحافة المكتوبة عنوان للكذب و الافتراء في بعض

الأحيان و مع بعض الجرائد. و عليه أصبحت تربط بعض التعابير الشفوية بصورة سلبية مع هذه الوسيلة و منها:

"اكتب اجرنال" أي "كتب جريدة بكاملها"، و تطلق على الشخص الذي يتحدث و يعلق كثيرا على شيء ما. و هي غالبا ما تحمل معنى سلبي مربوط بتضخيم الحدث. كما يتم ترديد في التعبير الشعبي العبارة التالية: "سفغيثيد قجرنال"، بمعنى أحدهم "نشر الآخر في الجريدة"، و يتم ترديد هذه العبارة حين يصبح الفعل حدث كبير إلى درجة أنه يستحق النشر في الجريدة، و تعني بالأخص التجريح في حق شخص ما. "انشرث قلجرنال" أو "نشره في الجريدة"، و يقصد بهذه العبارة التشهير و جرح مشاعر شخص ما.

لكن إن دلت هذه العبارات على شيء، فإنها تدل من دون شك على قوة و فعالية المكتوب في هذه الثقافة.

يحمل "الكاغط" كما أشرنا معنى الرسمية و الشكليات التي يتم التخوف منها بالأخص لدى فئات الأميين و كبار السن الذين لا يتقنون لا القراءة و لا الكتابة. فاستخدام "الكاغط" ضمن سياق الكلام يميز أكثر الفئة الأمية في المجتمع و بالأخص كباري السن.

و إذا كان "الشفوي" يميز فئة الأميين وكباري السن أكثر من غيرهم في المجتمع، فإن هذا التقديس قد يعود إلى كونه ينبع من الأنا (أي من كبار السن)، أما "المكتوب" فهو أمر مخيف و يسبب الحيرة و القلق كونه نابع من الغير (الشخص المتعلم).

فمنذ أن ولدنا و نحن نسمع هذا الخطاب الذي يكشف بوضوح عن خوف لا مثيل له أمام "الكاغط". وهذا الخطاب يتردد على مسامعنا من أفواه أجدادنا و أهلنا، فقد عمل الجيل الأول على نقل هذا الخوف من المكتوب إلى الأجيال اللاحقة، فالفئة المسنة و لأسباب ما تعتبر فئة أمية، وباعتبارها الفئة التي لا تستطيع إصدار المكتوب أصبحت تتخوف منه و من قوته. فهل عدم دخول مؤسسة المكتوب في بنية الاتصال في المجتمع القبائلي وكذا حصر العملية الاتصالية في الرسالة الشفوية كما يتساءل الباحث "رضوان بوجمعة" مجرد صدفة؟ ألا يمكن تفسير هذا ربما بتخوف الأجداد والآباء من قلب السلطة إلى الأبناء والأحفاد؟ أي نقل و تحويل السلطة من الجيل السابق إلى الجيل اللاحق؟

هل ستتغلب مؤسسة المكتوب على من يملك سلطة الكلمة داخل المجتمع الشفوي؟ وما هو المغني القبائلي "سليمان عازم" يغني:
ثرا مي تزاؤ لقرايا ثروياغ لعقليا باباس
انكريث اميس.

"الآن و قد تزايد فعل القراءة، فان العقليات قد خربت و تهدمت إلى درجة إن الابن يتخلى عن والده و ينكر وجوده".
في حين يترجم و يدعم بوضوح هذا المقطع للفنان الفيلسوف "لونيس أيت منقلات" في أغنيته "أياراشن لزائر تمورثغ"، أيها الشباب، إن الجزائر بلدنا مكانة العلم في المجتمع:
أولا ذلقريا ثوغال ذغبار سقالان وين ايسعان كرا لفهما اقراس
اندارا أترغ

حتى العلم تحول إلى مثابة غبار في العينين نرفض أن نرى به الأشياء
و كل من يملك معرفة قليلة في المجتمع يتساعل فيما قد ستفيده.

لا يعد تقديس الكتابة و التخوف منها ميزة المجتمع القبائلي وحده، فالكنيسة الكاثوليكية في الثقافة الغربية لجأت بدورها إلى المطبعة من أجل بث أفكارها التبشيرية عبر العالم، دون أن تدري أن مؤسسة المكتوب سوف تقلب علاقات القوة التي كانت سائدة في المجتمع الأوروبي آنذاك، فإذا كان خطاب الكنيسة سابقا هو الخطاب المهيمن، فانه و بظهور المكتوب أصبح لأي كان إمكانية للظهور في الفضاء العام، و بالتالي إمكانيات أكبر للتأثير عليه أيضا، بعدما كانت الكنيسة هي المستحوذ الأكبر.

على الرغم من أن الكتابة على شاشة الكمبيوتر أثناء التشات تتطلب على الأقل إتقان بعض القواعد النحوية و الأسلوبية، إلا أن هذا لم يمنع الاتصال باستعمال المكتوب لدى المبحوثين الشباب، بحيث سيتم قلب قواعد اللغة هذه المرة، و كذا عدم احترام لأهم شروط الاتصال الذي يتطلب الوضوح والبساطة في صياغة الرسالة من أجل تقاسمها. فالكتابة على النات وعلى عكس الكتابة الكلاسيكية التي تخضع للقوانين الصرفية و النحوية ليس لها أي قواعد. و قد تكشف هذه الطريقة في التمرد على قواعد اللغة عن احد الحيل التي يستخدمها الشباب لإعلان التمرد الاجتماعي الذي يميز هذه الفئة. بحيث أن الأفراد غالبا و أثناء اتصالهم عبر الشبكة يلجئون إلى تفسير الكتابة إلى درجة

أن لا يتقنها في بعض الأحيان إلا الشخصين المتصلين فيما بينهما بواسطة الانترنت، وعليه يميل الأفراد نحو إبداع طرق للاتصال خاصة بهم.

ويقول "أرفين قوفمان" "إذا كانت القواعد اللسانية و اللغوية تشكل نحواً، فان الطقوس و الشعائر تشكل نظاماً و نسقاً مضيفاً".

بالإضافة إلى التقديس والخوف من الكتابة يمكن إضافة النفور أيضاً منها، فما تمرد المستخدمين على قواعد اللغة إلا وسيلة للتعبير عن هذا النفور، فهم يقدسون المكتوب و في نفس الوقت يهربون منه، وقد يذكر هذا البعض بفشلهم الدراسي، بحيث كشفت بعض الحالات التي شملتها دراستنا عن الاستغناء التام لبعض الأفراد عن الكتابة أثناء الدردشة الالكترونية التي تحولت إلى الكلام فقط عبر الكاسك أو من خلال بعث إشارات تحمل إيماءات توفرها المواقع الالكترونية و بالأخص داخل الفضاء المنزلي ، فالبعض عبر لنا عن أن الكتابة تعد "مملة"، "متعبة"، أو حتى أنها مجرد "رياضة لليدين"، بحيث أصبح وجود الانترنت مرتبط برغبة كبيرة لدى هذه الأسر في الارتباط بأحد أعضائها المتواجدين في الخارج. و يتم استخدام الانترنت هنا حتى من طرف أولياء أميين. فاستحداث الانترنت جاء بناء على طلبهم من اجل محاولة تنظيم الفضاء و القضاء على المسافة. و ربما هذا أكبر دليل على شفوية هذا المجتمع.

وقد يعكس هذا النفور أيضاً نظرة المجتمع إلى الشخص المتعلم، فالتعليم جيد لكنه غير مفيد لصاحبه، لأنه سوف لن يمتحن أي مهنة بواسطة العلم.

التكنولوجيا وتنظيم الفضاء في "بجايت":

سنعود للحديث هنا أولاً عن تاريخ علاقة الإنسان بالتكنولوجيا حسب مقارنة البحث التي اعتمدناها، و عليه كشفت بعض الملاحظات التي استقيناها من ميدان الدراسة عن الأمثلة التالية:

تتجه احد العائلات التي درسناها يومياً نحو تشغيل التلفزيون بعد صلاة المغرب أو قبل دقائق من نشرة الثامنة، فإطفاء التلفزيون في تلك الفترة يجعل الأفراد يشعرون بشيء منقص، فالتلفزيون له توجه نحو الاشتغال أثناء فترة نشرة الثامنة على الرغم من انه غالباً ما لا يتم إغارة الانتباه لما يرد فيها، و عليه يبادر أحد الأبناء بإطفائها و هنا يجد

معارضة من أحد الوالدين الذين يتحججون انه يجب أن نعرف ما يحدث على الأقل في بلندا.

أصبح التلفزيون لدى بعض الأفراد الساعة الحديثة التي تنظم الوقت، فمثلا يربط فعل شيء ما بقبل أو بعد أو حتى أثناء بداية الفيلم: " سوف نخرج بعد نهاية المباراة"، "علينا العودة إلى المنزل قبل بداية الفيلم"، " سوف نتناول الوجبة أثناء الفيلم"...الخ. وعلى الرغم من أن كل أعضاء العينة يملكون هوائيات، و رغم الانتقادات الشديدة لمحتوى البرامج التي يقدمها التلفزيون الجزائري، إلا أن مشاهدة المسلسل المدبلج الذي يبث على الساعة الواحدة و النصف على الأرضية يعد بمثابة وقت مقدس لدى الفئات النسوية في فترة العطل الصيفية، و يتعلق الأمر بـ "فيلم الواحدة" كما يلقبونه، وهو عادة مسلسل مدبلج تم مشاهدته في قنوات فضائية أخرى قبل بثه على القناة الأرضية، لكن يبدو أن إعادة مشاهدة المسلسل على الأرضية له نكهته الخاصة به. فقد تكون المشاهدة على الأرضية أمر مختلف من مشاهدته على قنوات الغير. فهن على الأقل يعرفن أنهم يشاهدن كلهن نفس البرنامج و في نفس الوقت، فهذا المسلسل يربطهن بطريقة ما زمنيا، فكلهن يتواجدن أمام شاشة التلفزيون و في نفس الزمان.

يوفر التلفزيون من جهة أخرى مواضيع للنقاش بين النوعين خصوصا لدى بعض الأسر التي لا تتصل كثيرا فيما بينها، مما يجعل هناك تقارب و اتصال بعد حالة "لا اتصال" ما بين النوعين في بعض هذه الأسر.

تصرح احد مبحوثاتنا أن أحاها لا يتحدث كثيرا معها و مع أخواتها، لكن وسائل الإعلام غالبا ما توفر مواضيع للحديث، و منها مثلا الحديث عن المنتخب الوطني الجزائري، ففي هذه الحالة يستقي احد أعضاء العائلة بعض المعلومات من الجريدة، في حين يستقي الأخ معلومات من الخارج و من أصدقائه و الأخت الأخرى من التلفزيون و الانترنت، وكل واحد يتبادل معلوماته مع الآخرين مما يحدث صيرورة اتصالية مستمرة. و هو ما اقر به أيضا احد المبحوثين حين اعترف أن وسائل الإعلام تقوي علاقتي بزوجتي من خلال تبادل الحديث حول مضامين تهمنا مباشرة مثل مرض "افونزا الخنازير" مؤخرا.

صيرورات ولوج بعض تكنولوجيات الاتصال فضاء أخام أو الفضاء العائلي الخاص بالفرد:

ظهرت المشاهدة التلفزيونية في بداية لأول مرة في المقاهي كما استشهد بذلك المبحوثين من فئة كباري السن، و هو ما يعني أن التلفزيون لم يظهر لأول مرة و تم استخدامه داخل المنزل مباشرة بل أن الاستخدام الأول له كان خارج "الفضاء العائلي للفرد"، و هو الشيء الذي يعتبر بمثابة تجريب للجهاز من طرف الرجل أولا في المقهى للتأكد قبل إدخاله إلى المنزل. وينطبق هذا الأمر أيضا على جهاز الباربول، بمعنى انه كانت هناك عملية تجريب المنتج التي حظي بها الرجل أولا قبل أن يقرر هذا الأخير فعل الاستهلاك باقتناء الباربول، بحيث أن حتى اقتناؤه في البداية لم يكن حكرًا على كل أفراد الأسرة بل احتكر استخدامه في الغرفة الخاصة بذكر واحد، ثم تطورت الأمور في بعض الأسر ليقرر الرجل الذي تزوج للتو امتلاك جهاز باربول، على عكس التلفزيون الذي تم وضعه مباشرة في قاعة الاستقبال منذ أول يوم تم اقتناؤه، فهو جهاز لكل أعضاء الأسرة.

و يظهر هنا جليا الاحترام الذي يجب تخصيصه لـ"أخام"، و الدليل أن عملية تجريب الشيء حدثت في الخارج أولا و من قبل الرجل، قبل أن يقرر إدخال هذا الشيء إلى منزله، فحتى كلمة "برا" توحى بكلمة "أبراني" التي تعني الغريب، أي بمعنى كل ما هو غريب عن المنزل. و عليه فإن أول استخدام للانترنت من طرف الجمهور حدث أيضا في الخارج و ضمن مقاهي الانترنت، لكن قد يعود هذا أيضا إلى أن عملية تحرير وتعميم استخدام الانترنت إلى الجمهور العام و بالأخص الأسر حدثت متأخرة، كما أن أسعار الاقتناء في البداية لم تكن في متناول الجميع.

و إذا كانت المشاهدة التلفزيونية في البداية جماعية في المقهى بين أوساط الذكور، فإن بعد دخول التلفزيون المنزل أصبحت المشاهدة تتجه أكثر فأكثر نحو الفردانية، و قد يتجه الانترنت أيضا في نفس الاتجاه فبداية استخدامه في مقاهي الانترنت سمح بالتفاعل بين الأفراد، فقد كان وسيلة جديدة تتطلب المشاركة بين جماعات الأصدقاء من أجل

نحفظ كثيرا في استخدام كلمة الفضاء الخاص، و عليه سوف تستبدل هذه الكلمة في كل مرة بالفضاء العائلي أو المنزلي.

SSSSSSSS

اكتشافه، بحيث كشفت تقريبا أغلبية الحالات التي درسناها أن الأنترنتيون في بداية ممارساتهم كانوا يذهبون جماعيا إلى هذا الفضاء، لكن شيئا فشيئا تغيرت الأمور بعد التحكم فيه، و رغم ذلك لا تزال تشهد مقاهي الانترنت باحداين ولوج جماعي و بالأخص من طرف المراهقين الذكور .

و يبدو أيضا غريب هذا الالتقاء في اسم "مقهى" الذي تحمله أيضا "مقاهي الانترنت"، بحيث صبح اسم المقهى في التفكير على أنه فضاء ذكوري، و هو ما جعل أحد مبحوثاتنا تتأسف كما عبرت لنا حين سمعت بهذا التعبير لأول مرة، فقد اكتشفت هذه المبحوثة الانترنت لأول مرة عبر التلفزيون قبل أن يحرر استخدامه في الجزائر لأول مرة عبر مقاهي الانترنت. "تأسفت فعلا حين سمعت كلمة مقهى، ظننت أن النساء لن يلجن إلى هذا الفضاء"*****.

علاقة النوع باستخدامات التكنولوجيا ككل:

يعود اهتمامنا بعلاقة النوع بالتكنولوجيا ككل إلى كون أنه لا يمكن تناول التوجه نحو استخدامات الانترنت ككل كما أشرنا نظريا دون ربط علاقة بتاريخ استخدامات التكنولوجيا ككل لدى النوعين .

تعود العلاقة عموما مع التكنولوجيا ككل إلى الطفولة المبكرة، حين يتعلم الذكور الألعاب التقنية. وتكشف الشهادات في هذا الصدد على أن حب امتلاك الأشياء التي تبدأ في حالة الطفولة و المراهقة تعود بالأساس إلى العنصر الذكوري ، في حين فان امتلاك الأشياء لدى الإناث محصور جدا، فالذكر يبدأ أولا في حبه لامتلاك غرفة خاصة به، أما الإناث فيحبذن النوم في غرف يتقاسمنها مع شقيقاتهن، خاصة و أن الأساطير العائلية في بعض الأحيان تقول أنه ليس من المحبذ أن تنام المرأة في غرفة لوحدها لأن ذلك من شأنه أن يصبهن بشيء سيء وخطير، إلى درجة أن هذا الخطاب يسبب خوف شديد لدى سامعه.

نرى هذا الامتلاك لدى الذكور مثلا في امتلاكهم لساعة اليد قبل أن تمتلكها النساء، و في هذه الحالات يقوم الطفل الصغير بالعبث بأشياءه التقنية، مما يؤدي به إلى اكتساب

مقابلة مع البنت الكبرى في الأسرة رقم 4، يوم 2010/11/19. *****

معلومات تساعده لاحقا على توليد مسار تشكيل هويته المجنسة ذكريا. فالثقافة التقنية هي خاصية ذكرية تبدأ من خلال العبث بأولى الأشياء التقنية التي يملكها في مرحلة طفولته و مراهقته لتتطور إلى الإعلام الآلي ثم الانترنت.

عموما يعد التوجه القائم في أغلب الحالات إلى كون النساء لهن فرص اقل لامتلاك أجهزة الاتصال و بالأخص النقال، فقد لاحظنا في عينتنا عدم امتلاك الفتاة للهاتف النقال الذي امتلكه أخوها الأصغر سنا ونفس الأمر حدث أيضا مع فتاتين في الثانوية و فتاة أخرى في الجامعة التي رفض لها أخوها الأكبر امتلاك الهاتف على الرغم من أن أخويها في المتوسط يملكان هواتف و من الطراز العالي.

علاقة النوع باستخدامات جهاز الكمبيوتر و الأنترنت ككل:

بالنسبة للإناث تم تعلم التحكم في الإعلام الآلي ثم الانترنت، في المدرسة خاصة لدى المراهقات في المتوسط و الثانوي بعد إدخال هذه الوحدة إلى التعليم الإجباري، و تعلمت الجامعيات الاستخدام عموما من طرف صديقات ضمن الوسط الجامعي، في حين لم يتعلم الذكور في نفس الفئات العمرية بالضرورة في المدرسة، بل مع جماعات الأصدقاء في مقاهي الانترنت.

و نلاحظ هنا أن البيئة المدرسية كأول فضاء مسموح به للمرأة بعد الفضاء المنزلي كان وراء التحكم في الانترنت عكس الذكور الذين تعلموا ضمن مقاهي الأنترنت.

قد يلجأ الذكور عموما في حالة رداءة الاتصال عبر الشبكة في المنزل إلى الخارج، وأكثر من ذلك قد يقصدون مقاهي الانترنت لمجرد الذهاب رفقة صديق، في حين تنتظر الإناث عودة الاتصال.

تفضل عموما الإناث ممارسة تكوين في تخصص الإعلام الآلي، و ينظرن إليه على أنه مسار لا بد منه من أجل التعلم، في حين لا يرى الذكور ضرورة كبيرة في المرور عبر هذا المسار.

ركزت الدراسة على أهم مستخدم في المنزل، وكشفت العديد من الحالات أن الاستخدام الأساسي كان للمرأة، و هو ما طرح نوع من التناقض، فالميل إلى التقنية منذ الطفولة كما أشرنا في بعض الحالات كان حاضرا لدى الرجل، بحيث كشفت الإحصائيات حول التخصصات المتبعة في جامعة "عبد الرحمن ميرة" ببجاية لدى النوعين لموسم

2010/2009 عن هجرة جماعية للنساء لبعض التخصصات التقنية، في حين يضم تخصص الهندسة الميكانيكية: 4 إناث فقط مقابل 27 ذكر ، و 42 إناث مقابل 161 ذكور في تخصص الهندسة الكهربائية.

وقد يعود استخدام المرأة بالدرجة الأولى للإنترنت في المنزل إلى اقتحام هذه التقنية للفضاء المنزلي، بحيث كشفت بوضوح الملاحظات الميدانية التي جمعناها عبر أربع مقاهي للإنترنت المتواجدة بأحدا من احتلال هذه الفضاءات من طرف الرجال أكثر من النساء، كما أن هذه الفضاءات تتحول إلى فضاءات ذكورية بصورة حصرية أثناء الليل، فالمرأة تمكث في المنزل ليلا، فأقصاؤها من هذا الفضاء جعلها أكثر ميلا لهذه الوسيلة في الفضاء المنزلي.

و إذا كان الرجل عموما هو الأكثر ميلا إلى التقنية، فإن طابع الفضول الذي يميز عموما المرأة قد يكون وراء شغفها الكبير أمام هذه الوسيلة، بحيث كشفت المقارنات التي أجريناها بعد إجراء مقابلات مع ثماني طلبة في الماسر ، و طالبين في الماجستير تخصص "الإعلام الآلي" بجامعة "عبد الرحمن ميرة" شغف كبير إزاء هذا التخصص لدى الإناث الذي يعد حسبهن بالكثير مستقبلا، وتشهد أحد طالبات الماجستير مثلا عن أنها لم تكن تعرف شيئا عن الإعلام الآلي قبل عام 2000، لكنها و من خطابات التلفزيون أحببت الوسيلة و عزمت على إتباع هذا التخصص في الجامعة، فأول تجربة لها مع الجهاز كان ضمن تخصصها الجامعي، وتعتبر بكل ثقة أنها قادرة على إبداع برنامج معلوماتي لكن الوقت لا يسمح لها بذلك، على الرغم من أن النساء عموما "رديئات في البرمجة"، ++++++ مقارنة مع الذكور كما عبر عن ذلك أحد أساتذة التخصص، في حين فإن الرجال أقل تحمسا نحو هذا التخصص، و قد عبر أحدهم انه ندم كثيرا على متابعته لهذا التخصص، في حين أكد الثاني أن هذا التخصص كان الاختيار السابع له، و لهذا فهو غير متحمس كثيرا جدا، أما الثالث فأكد انه قام بتحويل بيداغوجي بعدما فشل في إيجاد تخصصا آخر يلجأ إليه، أما الرابع و الأخير أكد على عكسهم انه يقوم في بعض الأحيان حين يتوفر لديه الوقت بإبداعات لكنها لا تتعدى حدود الرسم

++++++ مقابلة مع أستاذ جامعي في تخصص "الإعلام الآلي"، يوم 2010/11/22.

الآلي، و أجابنا طالب الماجستير ببرودة كبيرة حين سألناه عما إذا أبدع سابقا خارج مجال الدراسة .

ورغم أن البرمجة مقررة ضمن البرنامج الدراسي إلا أن جميع الحالات كشفت سواء لدى الذكور و الإناث أن عملية البرمجة التي قام بها العنصرين كانت فقط لغرض انجاز عمل للتخرج به في آخر السنة، بحيث لم نشهد على حالة تم فيها إبداع برامج بمبادرة فردية من الطلبة، وعلى الرغم من أن أحد الذكور عبر عن رغبته في العمل في هذا المجال بعد نهاية دراسته، بحيث أكد لنا انه برمج سابقا لصالح أحد الجهات التي طلبت منه ذلك .

قد تلجأ النساء عموما إلى الإعلام الآلي و الانترنت من أجل الحاجة و هذه الحاجة تتمثل غالبا في:

- (1)- الرغبة في انجاز بحوث في إطار البحوث المدرسية أو الجامعية.
 - (2)- الرغبة على الحصول على دبلوم يؤهلها للعمل، أو من اجل ترقية مهنية.
- و قد تم ملاحظة أن بعض الجامعيات و رغم كونهن يعرفن مسار الإعلام الآلي إلا أنهن يجهلن تفاصيله، فتقافتهن لا تتعدى الوحدة المركزية غالبا و الفأرة و شاشة الكمبيوتر و جهاز المفاتيح le clavier.

تتراوح ثقافة المرأة عموما حول المسار التقني لجهاز الإعلام الآلي و الانترنت بين ضعيفة جدا لدى بعض الفئات، وعموميات حول الجهاز و الوسيلة، في الوقت الذي تملك فيه النساء المتخصصات في المجال مباشرة معرفة جيدة بالجهاز و قد يعد هذا أمرا طبيعيا، في حين فان ثقافة الرجل تتجه عموما نحو معرفة لا بأس بها حول الوسيلة، على الرغم من وجود حالات أخرى ضعيفة في هذا الاتجاه أيضا، لكن الفرق هو أن الرجل قد لا يتقن المسار التقني للجهاز لكنه على الأقل يتحكم فيه عكس وضعيات بعض الإناث اللواتي لا يتقن لا التحكم و لا المسار التقني لجهاز الكمبيوتر أو لوسيلة الانترنت.

يغامر الرجال من اجل إحداث برامج جديدة عكس النساء الأقل ائتمانا على حسب اعتقادهن يفضلن أولا فهم النظام و امتلاك معارف حول القدرات المنطقية لآلاتهن من اجل إنتاج برامج خاصة بهن. فغالبا ما يقوم الرجل الذي يملك جهازا باللعب بالآلة و يأخذ مخاطر كثيرة و هو ما يدفعه للتعلم أكثر، أما النساء فهن يحرصن أكثر على

فساد الجهاز، و بمجرد تذكر معاناة أخذه و حمله إلى تقني لإصلاحه و دفع أموال على ذلك أو طلب من أحد أفراد العائلة من العنصر الذكري حمل الجهاز للإصلاح لأنها تخجل من حمل الجهاز هي بنفسها، فكل هذا متعب لها لا بل ليس من عمل المرأة بتاتا.

و قد يرجع هذا أنه تاريخيا لم يشهد و أن كان هناك آلة تفسد وتتولى المرأة بنفسها معاناة أخذها لإصلاحها، مثلما هو الحال مع وسائل الإعلام التقليدية كالتلفزيون و الراديو.

الانترنت وإعادة إنتاج السلطة بين النوعين:

قد يساعدنا إدراج الانترنت في الفضاء المنزلي في تقديم قراءة حول العلاقات ما بين النوعين واتجاهاتهم نحو الانترنت، بحيث أن استخدامات الانترنت طبعت بصيغة ديناميكية هذا الفضاء.

تعلم الرجال عموما الانترنت من خلال جماعات الأصدقاء عكس النساء اللواتي تلقين تكويننا خاصا في هذا المجال، أو تعلمنا أكثر ضمن الوسط المدرسي، بحيث تكشف بعض التجارب أن النساء تعلمن التحكم في الإعلام الآلي بالأخص من أجل الحصول على عمل، أو في إطار التعليم كما يحدث عند الثانويات حاليا أو أنهن أجبرن على تعلمه من أجل إجراء بحوث في الجامعة، بعكس الرجال الذين لم تدفعهم نفس الأسباب لذلك.

قد تمنع الأعباء المنزلية المرأة من الذهاب كثيرا إلى مقاهي الانترنت مقارنة مع الرجل، وفي بعض الأحيان فان اللجوء إلى هذا الفضاء بالنسبة للمرأة يكون للضرورة القصوى كإنجاز بحث مثلا. كما أن النساء عليهن الدخول إلى المنزل مبكرا من أجل إنهاء الوظائف المنزلية مساء، و هو العامل الذي يحدد وقت استخدامهن للانترنت في الخارج، فالأدوار المسندة إلى المرأة داخل الفضاء المنزلي و منها تولي أعباء المنزل يجعل وقتها أكثر محدود.

تشهد مثلا أحد مبحثائنا أن مقهى الانترنت الذي تذهب إليه يقع أمام مقهى للرجال في أحد الأحياء باحدادن، و داخل عمارة. "في بعض الأحيان أحس بالإحراج أثناء الذهاب، أخاف من نظرة المجتمع إلي وبالأخص من لا يعرف أن هناك في ذلك المكان يوجد مقهى للانترنت، و حتى مقاهي الانترنت أصبحت مؤخرا مكان لالتقاء الأحبة كما

أن الانترنت يتم ربطه كثيرا بالتشات وبالمواقع الإباحية" *****، بمعنى أن هذا المكان أصبح يحمل مرادفات أخرى عدا هدف التعليم الذي تجري وراءه هذه المبحوثة. تتحول مقاهي الانترنت تقريبا في الليل إلى فضاءات خاصة بالرجال، فالنساء لا يخرجن في الليل وحدهن بل برفقة أفراد الأسرة و غالبا ما يحدث من أجل زيارة أسرية أخرى.

تتصدر الأدوار المتنوعة للمرأة و كذا مسؤولياتها العائلية كثيرا وقت فراغها، كما أن مقاهي الانترنت ليست مفتوحة بالضرورة في الأوقات التي يكون فيها للمرأة وقت للذهاب، الانترنت وسيلة المهمشين اجتماعيا:

تعتبر الانترنت كدعامة اتصالية مهمة تعبر عن دوافع استخدام الانترنت لدى الفرد الجزائري، فالتهميش الاجتماعي قد يعوض لدى البعض بهذه الحرية في التعبير التي يوفرها الانترنت كمنتفس عن همومهم.

يذكر هنا أن الانترنت استخدمت من قبل بعض المبحوثين كدعامة لتصحيح التمثلات الخاطئة للآخرين حول "الجزائر" و "الإسلام"، حول منطقة القبائل مع جزائريين آخرين، كدعامة للدفاع عن الهوية و الثقافة، بحيث يتجه البعض أثناء استخدامهم الانترنت إلى التعريف بالهوية الثقافية لدى البجاويين، أو كشف مزايا بجاية السياحية، من خلال إرسال صور تم التقاطها من طرفهم إلى أجنب وهو ما قد يساهم في تطوير السياحة بالمنطقة.

المرأة كفئة مهمشة و الانترنت:

تحرس وسائل الإعلام التقليدية على تقديم الصورة الكلاسيكية التي كان ينظر بها إلى المرأة، لكن و بعد مجيء الانترنت فان المرأة المهمشة اجتماعيا هي التي من يتولى هذه المرة مهمة الحديث عن نفسها، فالحديث عن المرأة هنا يحدث بعيونها و ليس بعيون المجتمع، و عليه يأتي الانترنت ليلعب دوره كوسيلة للمهمشين اجتماعيا.

من جانب آخر، تستعمل فئة الشباب المهمشة في خطاب سياسات التوظيف و بالأخص الجامعيين الانترنت من أجل البحث عن فرص للهجرة للخارج.

الانترنت و مصير الرابط الاجتماعي لدى الأسر البجاوية:

***** مقابلة مع البنت الكبرى في الأسرة رقم 4، يوم 2010/11/19.

جاء استحضار الانترنت داخل الفضاء المنزلي لدى بعض الحالات خصيصا من أجل الاتصال مع باقي أعضاء العائلة المتواجدين بالخارج بطلب من الأم، و هو ما كشفت عنه حالتين في أسرتين أمومية استلمت فيها الأم شؤون تسيير المنزل بعد وفاة زوجها ، أو بعد مرض و عجز هذا الأخير ، وهو فرصة أيضا لمحاولة إعادة تنظيم الفضاء لدى الأم و القضاء على فوضى المسافة الزمنية، و هي في بعض الأحيان تعد طريقة أيضا لإعادة احتواء هؤلاء الأعضاء من أجل ممارسة المراقبة في بعض الأحيان، و الضغط عليهم في أحيان أخرى، فالفرد لا يعتبر فرد في مفهوم هذه العائلات بقدر ما يعتبر عضو في جماعة أوسع و أشمل. فالانترنت بهذا المنظور قد يتحول إلى وسيلة للمراقبة الاجتماعية، بحيث و رغم عدم توفر خطوط الهاتف في أحد المناطق الريفية مثلا إلا أن الاستتاد ببطاقة الاشتراك في الانترنت لأحد المتعاملين في الهاتف النقال كان حلا مثاليا لأحد العائلات التي يتواجد ابنها و زوجته بكندا.

فهل يمكن اعتبار محاولة إعادة الرابط الاجتماعي كمحاولة لمراقبة المحيط عن قرب رغم بعد المسافة؟، هل هو محاولة لإعادة احتواء الفرد و ضمه مجددا إلى الجماعة التي ينحدر منها؟ فالميدان كشف لنا مثلا في عائلة "ع.ه" أن اقتناء الهاتف لأحد الذكور الذي كان يمارس رياضة خارج الفضاء العائلي ثم اقتناء نفس الجهاز لأخته كانت وسيلة لمراقبتهم و احتوائهم في كل مرة، فقد ادخل الأب في نفس العائلة الانترنت إلى المنزل حتى لا تذهب الابنة كثيرا إلى مقاهي الانترنت، في حين اقتنت الأم "بلاي ستايشن" إلى المنزل في عائلة "ط.ب" لأن أولادها يستغرقون وقت كبير في الخارج بسبب هذه الوسيلة، فلا يزال "برا" أو "الخارج" يمثل "أبراني" أي "الأجنبي" الذي يجب التخوف منه في نظر هذه العائلات.

الانترنت، المهاجرون البجاويون و محاولة إعادة بعث الرابط الاجتماعي:

إذا كانت النساء في السابق، يتذكرن من غاب عنهم باستعمال أحيانا في لخلا كما أشار "رضوان بوجمعة" ، فانه وبوجود الانترنت أصبحت العائلات تتصل بنوحيها في الخارج.

تعد الهجرة نحو الخارج ظاهرة مست بصورة كبيرة منطقة القبائل، ومنها بجاية، و تعد هذه الظاهرة اليوم مزدوجة باعتبارها مست في البداية جيل الآباء و الأجداد مباشرة بعد استقلال الجزائر، ثم بعدها جيل الأبناء.

مستقبل الأبحاث حول النوع واستخدامات الأنترنت لدى الأسرة البجاوية:

أصبح الأنترنت في المنزل جزء من الحياة اليومية و تحول إلى نشاط يومي للأفراد، و عليه أصبح لا مفر منه، فالنساء أصبحن أيضا يستخدمنه أيضا. ضمن هذا المنظور، يعيد نشر التكنولوجيا في البيوت إعادة النقاش حول العلاقات ما بين النوعين، لكن قد يذهب الاستخدام المنزلي لصالح المرأة في السياق الجزائري، فالدخل هو فضاء المرأة أما الخارج فهو فضاء الرجل، فمن المتوقع مستقبلا أن تستخدم المرأة الأنترنت في المنزل أكثر من الرجل على الأقل من حيث عدد الساعات.

تفتح الأنترنت المنزل نحو الخارج، وإذا كانت النساء يتمثلن الأنترنت بأنه خصوصي فانه يبدو أيضا أن هذه الوسيلة ليست خصوصية تماما، بل إنها تقتحم ما هو خاص لتجعله عام.

قد تقلب (بضم الياء) سيادة الذكور على الأنترنت بعد اقتحامه للفضاء المنزلي خاصة إذا ما علمنا أن الأسرة الجزائرية تعد عدد الإناث غالبا أكبر من عدد الرجال. كما أن المرأة تمكث أكثر في المنزل، وعليه فمن المحتمل كثيرا أن يكون الأنترنت أنثوي في المستقبل، حين يعمم في الحياة اليومية للأفراد لدى الجزائريين، و هو واقع نتجه نحوه. فمن المنتظر مستقبلا أن تحرر التكنولوجيا الأسرة من الهيمنة الذكورية ومن ضغوطات الجماعة على الفرد مستقبلا، بحيث ترى "جوزيان جوي" أن فحص الاستخدامات العائلية يمكن أن يساهم في توضيح أدوار هذه التكنولوجيات في تراجع السلطة الأبوية، وتنامي الفردانية، ويكشف تاريخ استخدام وسائل الإعلام داخل الفضاء المنزلي على أن استخدام البارابول مثلا في البداية كان بهيمنة ذكورية، لكن بعدما أصبح شيئا فشيئا جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية، تم تحرير استخدام هذه الوسيلة لدى كل الأعضاء و أحيانا يتم تقاسم البناءات بين النوعين حول التلفزيون مثلا، فهل سيذهب الأنترنت في نفس الاتجاه؟.

قد تتغير النظرة نحو التكنولوجيا كثيرا في المستقبل، فلا يستبعد تطور نشاطات المستخدمين أكثر مع الوقت مع هذه الوسيلة، وعلى عكس تحليلات دراسات النوع التي

ترى أن الانترنت حتى في الفضاء المنزلي يبقى خاصية ذكورية فان الإطار التطبيقي لدراستنا كشف عن شغف اكبر للانترنت كتكنولوجيا لدى الإناث أكثر من الذكور في الفضاء المنزلي على الرغم من أن الرجل قد يتقن استخدام الانترنت عموما أحسن من المرأة، و هذا قد يعود إلى خصوصيات السياق المحلي الذي يتمثل الداخل أي المنزل كفضاء للمرأة.

بعض النتائج الأخرى للبحث:

- أن الاستخدامات الأولية للانترنت لا تعد ذاتها الاستخدامات البعيدة.
- لا يهتم أفراد العينة بالمعنى الرسمي للشيء بل إنهم يطورون معنى خصوصي للأشياء. في هذا الاتجاه، فإن قيمة الشيء في قيمة الاستخدامات التي يوفرها، و عدم استخدام شيء يجعل لا قيمة له حتى وإن كان كذلك.
- تعد لغة الأم عازرة عن إيجاد ألفاظ تتماشى و التكنولوجيا.
- يوجد هناك ثلاث دوافع رئيسية أدت إلى استحداث الانترنت داخل الفضاء المنزلي حسب العينة التي بحثنا حولها، و التي ضمت تسع عائلات وهي: دافع التعليم، دافع الاتصال بالأقارب في الخارج، أو من أجل دوافع مهنية.

خاتمة:

لا يزال البناء المترافق و المستمر للهويات النوعية وهوية تكنولوجيات الاتصال غير معروف، كما أن الدراسات الموجودة بما فيها الانجلوساكسونية هي دراسات جزئية. و لهذا فان الضرورة ملحة اليوم من اجل انجاز أبحاث لفهم أحسن وتنظير جيد للعلاقات ما بين تكنولوجيات الإعلام والاتصال والعلاقات الاجتماعية ما بين النوعين. في هذا الصدد، تكشف لنا نماذج التنظيم ما بين وسائل الاتصال وطرق العيش، وكذا اختلاف المؤشرات الخطابية عن "تعدد الديناميكية" التي تحدث ما بين تكنولوجيات الاتصال والفعل الاجتماعي، و تنتج علاقة جدلية بين هذين القطبين (المجتمع و التقنية)، بحيث تبقى هذه العلاقة وبحكم جدة الممارسات غير معروفة بصورة واسعة، ولكنها و في المقابل تفتح حقل واعد بالأخص أمام البحث.

و مثلها مثل النوع فان تكنولوجيات الاتصال هي بناءات اجتماعية ديناميكية غير مستقرة، " وعليه هناك تمثلات جديدة سوف تواجه استخدام تكنولوجيات الإعلام و الاتصال

المنزلية و التي تحولت إلى أشياء رمزية ، لكنها سوف تنتظم شيئا فشيئا كي تصبح جزء من الثقافة و ليس جزء من المعلوماتية. و عليه يمكن طرح فرضية أن هذا التطور سوف يكون حافز لتبني التكنولوجيا من طرف النساء، و ستصبح التكنولوجيا شيء عادي و سوف يتم اعتبارها كتجهيز ثقافي و ليس معلوماتي" \$\$\$\$\$\$.

يمكن للتحليل الدقيق لأشكال استيعاب تكنولوجيايات الإعلام و الاتصال في سياقات المجتمع التقليدي القبائلي أن يخبرنا بثناء عن مدى تعقد العلاقات ما بين النوعين واتجاهاتهم نحو استخدام الأنترنت.

تمثل أجهزة الاتصال كما وصفها "جاك بيرولت" في الحقيقة نوع من الحياء التي تعكس على غرار هذه الحيوانات التي يتغير لونها بتغير خيط السياق الذي تتواجد فيه.

تعد "العلاقات ما بين تكنولوجيايات الاتصال و النوع علاقات متطورة و مفتوحة لأنها تندرج ضمن ديناميكية الإبداع التقني و الإبداع الاجتماعي" ***** . بمعنى كلاهما يتحركان فالمجتمع يتطور و التقنية أيضا تتطور و هو ما يجعل من المعقد دراستهما معا فهما ليسا شيئا مستقران. فبناء استخدام اجتماعي يركز على مسارات معقدة من العلاقات ما بين الإبداع التقني والإبداع الاجتماعي. و هو ما يعني أن التكنولوجيا بإمكانها أن تعيد بناء العلاقات الاجتماعية ما بين النوعين بعدما حددتها الجماعة والقيم والعادات والطقوس وغيرها من الأحكام، بحيث أصبحت تكنولوجيايات الإعلام والاتصال تساهم في بناء العلاقات بطريقة مغايرة، فالطقوس، العادات، القيم الاجتماعية وغيرها فرضت بناء اجتماعي معين للعلاقات ما بين النوعين، لكن الانترنت هي في صدد إعادة هذا البناء بطريقة نهجها على الأقل الآن.

من جانب آخر فإن البناء الاجتماعي لتكنولوجيايات الاتصال و من خلال ديمقراطيتها أصبح يترك المجال مفتوح لأشكال تبني أكثر مساواة ما بين الرجل و المرأة، بحيث يمكن أن تقلب الهرمية الذكورية هنا.

في خلاصة البحث نستنتج أننا انطلقنا من إشكالية بناءات النوعين حول الانترنت لتتطور الإشكالية نفسها ونقوم بطرحها بصورة اقرب إلى سياقها: كيف يساهم البناء الاجتماعي

\$\$\$\$\$\$\$\$\$ Jousiane Jouet ,op cit, p86.

***** Jousiane Jouet, ibid, p 53.

للتوعين في تشكيل بناءات ذهنية فردية حول هذا البناء الديناميكي الذي نسميه "انترنت؟".

وإذا ظهر هناك تناقض بحيث من جهة يظهر أن الانترنت وسيلة للمهمشين أي انه وسيلة تستخدمها المرأة المهمشة اجتماعيا، ومن جهة أخرى يظهر الانترنت على انه ذكوري، فهذا قد يعود إلى السياق الاتصالي الذي ينظر إلى التقنية على أنها ذكورية أكثر، لكن بعد اختراقها للفضاء المنزلي قد تتغير الممارسات.

وقد يحدث تطور في هذه العلاقات: البناء الذهني الفردي للانترنت، والبناء الاجتماعي للأفراد و بالأخص فيما يخص النظرة الاجتماعية إلى النوعين ، بحيث تتدخل الانترنت على مستوى البناء الاجتماعي للنوعين، وفي نفس الوقت هناك علاقة ما بين النوعين في تشكيل بناء ذهني معين نحو الانترنت، وهو ما يكشف عن تعقد و تشابك و تداخل في فهم هذه العلاقات التي تطرح كإشكال، بحيث يمكن أن نعالج هنا الإشكالية المعاكسة لهذه الدراسة و هي: كيف يمكن أن يؤثر الانترنت على مسار البناء الاجتماعي للنوعين؟. نذكر في الأخير أنه لا تزال لحد الساعة مكانة النوع، الجنس والفضاء الالكتروني موضوع نقاشات وعدم اتفاق نظري على مستوى دراسات النوع بحيث أصبح الانترنت ينظر إليه شيئا فشيئا في هذه النقاشات مذكر، مؤنث أو محايد. لكن ما هو مؤكد هو أن الانترنت يرتدي حلة البيئة التي يحل فيها، فالانترنت يتغير بتغير لون البيئة أو الثقافة التي تتبناه.

قائمة المراجع:

الكتب:

- عزي عبد الرحمان: "الفكر الاجتماعي المعاصر و الظاهرة الاتصالية، بعض الأبعاد النظرية الحضرية، ط1، دار هومة، الجزائر. 1995.

- Breton (Philippe) et Proulx (Serge), « l'explosion de la communication à l'aube de XX siècle », Casbah édition, Alger, Algérie .2002.

(Corcuff (philippe) , « Les nouvelles sociologies », Nathan - édition, Paris, France, 1995.

– Winkin (Yves), « Anthropologie de la communication, de la théorie au terrain », Seuil Collection, Nouvelle édition, Paris, France, 2001.

رسائل جامعية

- بوجمعة رضوان: "أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في العلوم في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007/2006.
- عبد الوهاب بوخنفوة: "المدرسة، التلميذ و المعلم، و تكنولوجيايات الإعلام و الاتصال، التمثل و الاستخدامات دراسة عي على عينة من التلاميذ و المعلمين في الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراة الدولة في علوم الإعلام و الاتصال، 2007/2006.
- علي قسايسة: "المنطلقات النظرية و المنهجية لدراسات التلقي- دراسة نقدية تحليلية لأبحاث الجمهور في الجزائر - (1995-2006)"، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام و الاتصال، 2007/2006، جامعة الجزائر، الجزائر.
- السعيد لوصيف: "الاستخدام و الاستعمال و الممارسة و الاستحواذ: غموض المفاهيم و معانيها لدى طلبة ما بعد التدرج، قدمت هذه الورقة في إطار تكوين طلبة الماجستير (دراسات الجمهور) للسنة الجامعية 2008/2007.
- فوزي عادل: "علم الاجتماع الأنثروبولوجي"، ترجمة "العايشي عنصر" في: Kaufmann et Jean Claude, « l'entretien compréhensif » مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، 2000.
- Gardez (Delphine), « De la domination à l'action : Quel genre d'usage de technologie de l'information ? », réseaux n° 120 ,CNET , France, 2003/2004.

- Gurumurthy (Anita), « **development gender : genre et tic** », in Bridge, Panorama, juin 2006. Pdf.
- Jouet (Josiane), « **technologie de la communication et genre : des relations en construction** », Réseaux n°120 , CNET édition ,France, 2003/2004.
- Kadour (Malika) , « **le mouvement des droits des femmes** » ,édition CRASC , Oran, Algérie .
- Livingston (Sonia), « **la signification des technologies domestique, une analyse des constructions mentales individuelles dans les relations familiales entre les sexes** », in réseaux n°79 , CNET ,1996.

التقارير :

- opération oustratic : les raisons d’echec, el watan n° 5692, p104, 21 juillet 2009 .